أُمنـاءُ الرَّحمن

مقدِّمةٌ في الإدارةِ البهائيَّة

تأليف أديب طاهر زاده

رسوم: ليزلي طاهر زاده أومارا

ترجمة: سيفي سيفي 2026م، نوفمبر

دار "بهائي بوكس - (Bahá'í Books) "المملكة المتحدة، أوكهام
صادرة عن المحفل الروحاني المركزي للبهائيين في المملكة المتحدة،
27 روتلاند غيت، لندن.
أديب طاهر زاده. الطبعة الأولى 1972. الطبعة الثانية،
مراجعة أديب طاهر زاده 1999،
نُشرت عام 2009. جميع الحقوق محفوظة.
يتوفر سجل فهرسة لهذا الكتاب في المكتبة البريطانية
ردمك2-99-870989-1-978 :(ISBN)
تصميم الغلاف: "شتاينر غرافيكس(Steiner Graphics) "
طُبع بواسطة مجموعة "كروميل برس" (Cromwell Press Group)

في وقت تجتاح فيه قوى الدمار وجه الأرض، وتُغرق الجنس البشري بأسره في حالة من الفوضى والاضطراب، وتقتلع مؤسساته العريقة التي تعود جذورها إلى أزمان غابرة؛ يقوم المجتمع البهائي - وهو مجتمع صغير نسبياً - بتشييد هيكل لمؤسسات جديدة تغطي الكوكب بأسره، صُممت لتتطور، في الوقت المناسب، إلى «النظام العالمي الجديد» الذي بشّر به حضرة بهاء الله.

في هذا الكتاب المتسم بالعمق، يتتبع أديب طاهر زاده أصول النظام الإداري البهائي، ويحدد المعايير والمبادئ الروحية التي تحكم عمل "المحفل الروحاني"، كما يؤكد على أهمية استيعاب روح هذا النظام الإداري والعمل في إطاره. والكتاب يصف التطور التدريجي للمؤسسات الإدارية في الدين البهائي، ويقدم رؤىً حول دور الأفراد الأعضاء في هذه المؤسسات، واصفاً إياهم بـ "أمناء الرحمن."

المحتويات

تمهيد، مقدمة، الوحي الإلهي، كلمة الله، عهد حضرة بهاء الله، العصر التكويني، المؤسسات الإلهية، آلية عمل المحافل الروحانية، دور الفرد، تأثيرات النظم القديمة، الثبات على العهد، المعايير الروحانية، حضور حضرة بهاء الله، التشاور الحقيقي، عدم المساومة على المبادئ، المبادئ الإدارية، الانتخاب، سلطة المؤسسات، مسؤولية الأعضاء، التجرد، الوحدة، العدل والمحبة، دعم قرارات المحفل، فضل الخدمة في المحفل، التوازن بين الشكل والروح، مؤسسة أيادي أمر الله والمستشارين، الأداء السليم للمحافل الروحانية، بناء النظام العالمي لحضرة بهاء الله، النظام العالمي الجديد في طور التكوين، المواثيق الأربعة، حضرة شوقي أفندي: باني النظام الإداري، السنوات الخمس عشرة الأولى من فترة ولاية الأمر، خطط التعليم الوطنية، الحملة العشرية، رعاية "أيادي أمر الله"، تطورات في المركز العالمي، بيت العدل الأعظم، المركز الدولي للتعليم، خطة التسع سنوات، تشبيه البيت القديم والبيت الجديد، النصف الأول من القرن الأول للعصر التكويني، تطورات رئيسية أخرى خلال خطة التسع سنوات وما بعدها، التطور الروحي للفرد، المقابلات المادية والروحية، اكتساب النفس للصفات الحميدة، أين يقع العالم التالي؟، الغرض الأساسي من الخلق، عدم كفاية النهج الفكري لوحده، من هذا الغريب؟، الغذاء الروحي، الخطوة الأولى نحو النمو الروحي: قراءة النصوص المقدسة، السماح لقوة الكلمات بالنفاذ إلى قلوبنا، الخطوة الثانية، قوة الدعاء، الخطوة الثالثة، الخطوة الرابعة، حماية الإيمان، اللصوص الثلاثة الكبار للإيمان والروحانية، قائمة المراجع، الهوامش والمصادر,

مقدمة

نُشر كتاب "أُمناء الرحمن" (Trustees of the Merciful)، لأول مرة عام 1972، تزامناً مع مرور خمسين عاماً على بدء «العصر التكويني» للدين البهائي.

يهدف الفصلان الأول والثاني إلى تسليط الضوء على الروح التي تبث الحياة في «النظام الإداري» والذي أرساه حضرة بهاء الله، وتوضيح الموقف الروحي الذي ينبغي أن يتحلى به أعضاء مؤسسات هذا الأمر.

أما الفصل الثالث، فيستعرض تطور النظام الإداري خلال السنوات الخمسين الأولى من العصر التكويني، ويقدم بيانات إحصائية حول توسع الدين البهائي خلال تلك الفترة.

وقد جرى تحديث هذا العمل - دون الخوض في تفاصيل إحصائية إضافية - ليشمل تطورات هامة أخرى شهدها المجتمع البهائي منذ صدور الطبعة الأولى.

كما أُضيف فصلٌ رابع، نأمل أن يساعد القارئ بشكل أكبر في دراسة الجوانب الروحية للنظام الإداري الذي وضعه حضرة بهاء الله.

أديب طاهر زاده، حيفا، يونيو 1999

ملاحظة الناشر

تم تحرير هذا الكتاب وتحديثه عام 2008 بواسطة ليزلي طاهر زاده أومارا و ويندي مؤمن.

مقدمة

يمثل رحيل "حضرة عبد البهاء" في عام 1921، من ناحية، ختامَ أكثر عصور الدِّين البهائيّ مجدًا - أي "العصر البطولي" أو "العصر الرسولي" - ومن ناحية أخرى، يمثل بداية "العصر التكويني"؛ وهو عصر انتقاليّ لا بدّ أن يُفضي في نهاية المطاف إلى "العصر الذهبي" للدِّين البهائيّ، حين تترسخ سيادة "حضرة بهاء الله" ونظامُه العالميّ بشكلٍ كاملٍ في جميع أرجاء هذا الكوكب.

لقد شهد "العصر البطولي" - الذي بدأ بإعلان "الباب" لدعوته عام 1844 واستمرّ 77 عامًا - ظهورَ مظهرين إلهيَّين (رسولان)، هما حضرة "الباب" وحضرة "حضرة بهاء الله"، كما شهد تأسيس عهدٍ عظيمٍ كان حضرة "عبد البهاء" محورًا له. وفي ذلك العصر، فاضت أنوار الوحي الإلهيّ على هذا العالم لما يقرب من 50 عامًا؛ حيث أُطلقت في البشرية طاقاتٌ روحيةٌ قُدِّر لها أن تبعث الحياة في الجنس البشريّ بأسره، وأن تؤسس - في الوقت المناسب - نظامًا عالميًا جديدًا تنبّأ بمجده أنبياءُ الماضي.

وفي المرحلة الأولى من ذلك العصر، أطلق "الرسول الشهيد" لهذا الدِّين - أي حضرة "الباب"، هذه "النقطة الأولى" التي "انبثقت منها جميع المخلوقات" - نداءَ الفجر إيذانًا ببدء يومٍ جديدٍ؛ وفي ختام ذلك العصر، أضفى باستشهاده بهاءً خالدًا على أمر الله.

في الحقبة الثانية من ذلك العصر، تجلّى حضرة بهاء الله - المظهرُ الإلهيُّ الأعظم، الذي بظهوره امتُحنت قلوبُ كافّةِ رسلِ الله وأنبيائه، والذي تاق موسى لبلوغ حضرته، ومن أجل محبّته صعد عيسى إلى السماء، واشتاق محمّد لرؤية جمال طلعته، وفي سبيله قدّم حضرة البابُ حياتَه - فأنزل حضرة بهاء الله وحيَه الذي أفاض به حياةً جديدةً في كلّ كيانٍ بشريّ. في هذه الحقبة - خلال فترة امتدت لما يقرب من أربعين عاماً - أُنزلت ونُشرت تعاليم وقوانين وأحكام دينٍ قُدِّر له أن ينظم حياة الجنس البشري، وأن يدير شؤون مؤسساته العالمية لفترة لا تقل عن ألف عام.

وبعد صعود حضرة بهاء الله، تولى حضرة عبد البهاء - الذي وُصف بـ "سرّ الله" وبأنه "من تدور حوله جميع الأسماء" - مهمة إثراء النصوص المقدسة وتفسيرها، وذلك خلال السنوات التسع والعشرين التي شكّلت المرحلة الثالثة والأخيرة من "العصر البطولي". فقد احتضنت روحه "أمر الله"، وحمته من هجمات الناقضين لعهد حضرة بهاء الله، وعملت على تعزيز مصالحه في مواجهة معارضةٍ شرسة، ونشر رسالته في العالم الغربي.

يمثّل رحيل «عبد البهاء» بزوغ مرحلة النظام الإداري، ويُدشّن زمن العصر التكويني. وقد برزت في هذا العصر شخصية محورية هي حضرة شوقي أفندي، "ولي أمر الله"، حيث أثنى عليه حضرة عبد البهاء واصفاً إياه بأنه "ذلك الغصن الفريد من شجرة السدرة الإلهية المقدسة"، و"اللؤلؤة الثمينة"، و"النور الذي... يسطع من مطلع الهداية الإلهية". وعلى مدى ستة وثلاثين عاماً، قاد حضرة شوقي أفندي العالم البهائي لبناء أسس النظام الإداري، الذي كانت معالمه قد حُدِّدت بوضوح على يد حضرة بهاء الله وحضرة عبد البهاء. وقد ترك وراءه حضرة شوقي أفندي - من خلال مؤلفاته الغزيرة ورسائله الموجهة إلى الأفراد والمحافل

الروحانية - ثروةً هائلة من التوجيهات التي ستظل تُرشد العالم البهائي، وتدعمه، وتُلهمه في أداء المهام المتعددة التي تواجهه طوال "العصر التكويني."

وتُشكّل السنوات الخمس والعشرون الأولى من فترة ولاية "ولي الأمر"، الحقبة الأولى من "العصر التكويني". كما بدأت الحقبة الثانية في عام 1946، وشهدت وفاة حضرة شوقي أفندي عام 1957، وانتهت في عام 1963 بُعيد تأسيس بيت العدل الأعظم. وفي أكتوبر 1963، أُعلن عن بدء الحقبة الثالثة التي استمرت 23 عاماً. وفي يناير 1986، أُحيط العالم البهائي علماً بأن العصر التكويني قد دخل حقبته الرابعة.

إن "بيت العدل الأعظم"، هذه المؤسسة الجليلة التي نصَّ حضرة بهاء الله على أن تكون الهيئة العليا للدين، والجهة التي أسبغ الله عليها هدايةً معصومة، توجّه اليوم البهائيين في المهمة ذاتها، ألا وهي إرساء دعائم مؤسسات هذا الدين في جميع أنحاء العالم.

في هذا الدور، كان تعليمُ أمرِ اللهِ دائمًا أعظمَ الأعمالِ أجرًا. ومع ذلك، ففي كل مرحلة من مراحل تطور هذا الأمر، واجه المؤمنون مهمةً محددةً تطلبت منهم تكريس اهتمامهم الكامل وبكل إخلاص. فعلى سبيل المثال، في الأيام الأولى لنشأة هذا الدين، اضطر أتباع حضرة الباب في كثير من الأحيان إلى حمل السيوف للدفاع عن أنفسهم ضد الهجمات الشرسة التي شنَّها أعداؤهم. وفي تلك الأيام، كان نداء العمل يتردد صداه - كما جاء في عبارة الملا حسين الخالدة: **"امتطوا خيولكم يا أبطال الله"!**

أما في مرحلة لاحقة، خلال فترة وجود حضرة بهاء الله، فقد أُسندت إلى المؤمنين مهمةٌ مختلفة؛ إذ كان عليهم هذه المرة أن يضعوا السيوف جانباً، وأن يعملوا على نشر أمر الله بمنتهى المحبة والحكمة، بل وأن يبذلوا أرواحهم طواعيةً إذا اقتضى الأمر ذلك. وفي تلك الحقبة، تجرَّع الكثيرون كؤوس الاستشهاد بفرحٍ وامتنان، وبدمائهم الزكية أعلنوا عن أمر الله للجماهير.

وخلال فترة خدمة حضرة عبد البهاء، ورغم استمرار المؤمنين في تبليغ هذا الأمر المبارك بالنهج ذاته، إلا أنَّ التركيز اتخذ منحىً آخر؛ فقد شهدت تلك الفترة نقضًا لعهد الله، مما أدى إلى نشوب أزمةٍ بالغة الخطورة، جعلت من حماية أمر الله - في مواجهة هجمات الأعداء والناقضين للعهد - أولويةً تتقدم على كل ما عداها. وفي تلك المرحلة، التفَّ المؤمنون حول حضرة عبد البهاء، "مركز العهد"، وعملوا بعزمٍ وثباتٍ على حماية أمر الله من هجمات الناقضين وغير المخلصين.

في العصر التكويني، تتمثل المهمة الرئيسية الموكلة إلى البهائيين - إلى جانب نشر تعاليم الأمر البهائي والإعلان عنه وتطوير المجتمعات البهائية - بناء "النظام الإداري" الذي أرساه حضرة بهاء الله. والعمل معًا على تأسيس المحافل الروحانية المحلية والمركزية في كل بقاع العالم. إن التوسع الهائل في أعداد هذه المؤسسات الإلهية، والحاجة إلى ترسيخ دعائمها، يفرضان على البهائيين تعميق فهمهم لحقائق الدين ومبادئ النظام الإداري. وفي الواقع، تقع على عاتق أعضاء المحافل الروحانية مسؤولية جسيمة تتمثل في الإلمام التام بالمبادئ الإدارية للدين، كما أوضحها كل من حضرة بهاء الله، وحضرة عبد البهاء، وحضرة شوقي أفندي.

ولا تتناول الصفحات التالية، المسائل المتعلقة بإدارة الدين أو تفاصيل هيكلية النظام الإداري ذاته؛ بل ينصبُّ الهدف على تتبع أصول هذا النظام، وتوضيح المعايير والمبادئ الروحية التي تحكم عمل المحافل الروحانية، والتأكيد على أهمية استيعاب "روح" النظام الإداري والالتزام بمقتضياته. وأخيراً، تستعرض هذه الصفحات مسيرة تطور المؤسسات الإدارية للدين البهائي خلال الخمسين عاماً الأولى من العصر التكويني وما تلاها، وصولاً إلى وقتنا الحاضر.

كلمة الله

أحد التعاليم التي أعلنها حضرة بهاء الله بشكل قاطع، أن الأديان القائمة في العالم ذات أصل إلهي واحد، وأن مؤسسوها هم "مظاهر الله" (رسل) الذين أطلقوا طاقاتٍ روحيةً في العالم - من خلال ظهورهم في كل عصر - استهدفت ارتقاء البشرية ودفع عجلة تقدمها.

لقد كانت "كلمة الله" - التي نزلت عن طريق مظاهره - هي الوسيلة والحامل لهذه الطاقات في كل دورٍ ديني. كانت كلمتهم ذات طبيعة إبداعية، وبفضل ما تمتعت به من قوة وتأثير، تغلغلت في قلوب الناس، وأنشأت في كل عصر حضارةً جديدةً ونوعاً جديداً من البشر. ويمكن تشبيه نزول كلمات الله بهطول المطر؛ ففي حين تتساقط قطراته، تنتعش كل نبتةٍ مباشرةً بفعل قوته المُحيية. أما عندما يتوقف الهطول، فلا يمكن الحصول على "ماء الحياة"، إلا من خلال خزانٍ تجمّع فيه قطرات ذلك المطر. وبالمثل، فإن كلمة الله - التي كشف عنها كل مظهرٍ من مظاهر الله - منحت حياةً جديدةً لأولئك الذين تواصلوا معها مباشرةً. ففي كل عصر، تمنح القوة الإبداعية للكلمة الإلهية حياةً أبديةً وروح أيمان لأولئك الأتباع الذين حظوا بشرف التواجد في محضر مظهر الله. ولكن، حين ينتقل النبي إلى العالم الآخر وتتوقف أمطار الوحي الربيعية عن الهطول، تتوجه جموع المؤمنون إلى مستودع الكلمة المُنزلة، أي النصوص المقدسة التي تُرِكت لهم.

في الأدوار الدينية السابقة، كان المؤمنون يملؤون أوعيتهم من هذا الخزان الروحي الذي احتوى على "ماء الحياة"؛ فكانوا يرتوون منه أولاً، ثم يفيضون بمياهه المُحيية للأرواح على الآخرين. غير أنه في هذا التشبيه المتعلق بالخزان، لو سُمح للناس بلمس الماء بأيديهم، أو وضع أكوابهم وأوعيتهم فيه، بهدف نشره بين الآخرين والانغماس في أعماقه؛ فمع مرور الوقت، يجرد الماء من نقاءه. وبالمثل، فمن خلال التمتع بحرية الوصول إلى المنهل الروحي لتعاليم الله وكلماته، وإقحام أفكار ونظريات وتفسيرات دخيلة غير سليمة، والتلاعب المغرض بدين الله، يقوم الأتباع بتلويث "ماء الحياة"، فيضيع نقاؤه إلى الأبد.

لقد استمد أتباع كل دين إلهامهم في البداية من نصوصهم المقدسة، ثم نقلوا رسالة رسولهم الشافية إلى الآخرين. وفي الأدوار الدينية السابقة، تُرك للمؤمنين حرية تفسير كلمة الله وفقاً لفهمهم الخاص؛ مما دفع الناس إلى إدخال أفكارهم القاصرة في صلب أديان الله. وسرعان ما فُقِدَ نقاء التعاليم، وانقسم الأتباع، ودبّت الانقسامات في الأديان. فعلى سبيل المثال، لم يكد يُوارى الثرى جثمان النبي محمد، حتى انقسم أتباعه إلى طائفتين رئيسيتين، تفرعت عنهما

لاحقاً طوائف عديدة أخرى. وهكذا، وقعت كلمة الله النقية المخلصة في أيدٍ آثمة، استُغلت لتحقيق مآرب أنانية بحتة. لقد كان هذا هو النمط السائد في الأديان السابقة.

أما في هذا الدور الديني الإلهي - الذي يمثل ذروة الأديان والدورات السابقة، ويُبشّر بظهور "يوم الله" - فقد جاء وحي حضرة بهاء الله بخصائص فريدة تضمن وحدة المجتمع؛ ومنها أصالة الكلمة المُنزلة وضخامتها. فعلى عكس الأدوار السابقة، فقد دُوّنت جميع كلمات حضرة بهاء الله بواسطة كُتّاب وحيه في لحظة نزول الوحي، مما يجعل أصالتها فوق كل ريبة أو شك.

وبينما كانت كلمة الله في الأدوار السابقة، أشبه بزخات مطر متفرقة، فقد انهمرت الأمطار في عصرنا هذا على البشرية، كسيولٍ جارفة على مدى أربعين عاماً على الأقل، مُخلّفةً وراءها محيطاً واسعاً من النصوص البهائية المقدسة. لقد كان نزول كلمة الله في هذا اليوم غزيراً وسريعاً للغاية، لدرجة أن حضرة بهاء الله كان يُنزل ما يعادل ألف آية في غضون ساعة واحدة فقط. لقد شهد هو نفسه، في أواخر حياته، بأنه لو جُمعت جميع الكلمات المُنزلة، لبلغت ما يقرب من مئة مجلد.

ميثاق حضرة بهاء الله

ومن السمات المميزة الأخرى، هبةٌ خاصة قدّمها حضرة بهاء الله للبشرية، ألا وهي شخص "حضرة عبد البهاء". فقد خلقه الله خصيصاً ليقوم - بعد رحيل حضرة بهاء الله - بدور الوعاء العظيم والمستودع الذي ضمّ في طياته بحر وحيه الزاخر. ذلك أن حضرة بهاء الله لم يترك كلمته ووحيه متاحين للجميع دون ضابطٍ بعد صعوده، بل عهد بهما إلى حضرة عبد البهاء. ففي وصيته التي خطّها بيده المباركة، عيّن حضرة بهاء الله حضرة عبد البهاء "مركزاً لعهده"، وأوصى جميع المؤمنين بالتوجه إليه لينالوا نصيبهم من فيوضات الله التي أنعم بها على البشرية من خلال وحيه. ولم يمنح لأحد غيره الحق في تفسير كتاباته، أو إضافة أي شيء إليها، أو حذف ولو نقطة واحدة مما أُنزل. فحضرة عبد البهاء وحده من كان يملك صلاحية بيان معاني كلمات حضرة بهاء الله ومقاصدها. وهكذا، أودع حضرة بهاء الله بحر وحيه العظيم في شخص حضرة عبد البهاء؛ الذي وقف كحصنٍ منيعٍ يحمي هذا الوحي من أيدي الناقضين وغير المؤمنين ويصونه من أي تدخلٍ بشري. لقد تجسّد وحي حضرة بهاء الله في كيان حضرة عبد البهاء، واحتوته نفسه احتواءً تاماً؛ بحيث لم يعد ممكناً - بعد صعود حضرة بهاء الله - أن تصل القوة المُخلّصة لدينه، أو تتدفق الطاقات الروحية التي أطلقها، إلى البشرية إلا من خلال حضرة عبد البهاء.

على الرغم من أن حضرة عبد البهاء لم يكن "مظهراً إلهياً"، إلا أنه - باعتباره وعاءً احتوى محيط وحي حضرة بهاء الله - قد مُنح سلطة المظهر الإلهي. ففي أعماق روحه، ظل هذا المحيط العظيم يجيش طوال تسعة وعشرون عاماً، وقد أفاض بمياهه المحيية على آلاف الرجال والنساء في شتى بقاع الشرق والغرب. غير أنه خلال تلك الفترة، جرت محاولات عديدة - اتسمت بانعدام الضمير - من داخل المجتمع نفسه للقضاء على "أمر الله" واختراق الأسوار التي كانت تحمي ذلك المحيط. كما تمرد على "مركز العهد" عدد من أتباع الدين

البارزين سعياً وراء رغباتهم الأنانية، ومحاولةً منهم لإقحام أفكارهم الخاصة في التعاليم الإلهية، بهدف شق صف الدين الإلهي، وبالتالي تلويث "ماء الحياة". لكن "عهد حضرة بهاء الله" كان قائماً على أساسٍ بالغ الرسوخ، وكانت الأسوار المحيطة بذلك المحيط منيعةً لا تُخترق. وقد تفانى في خدمة حضرة عبد البهاء - بإخلاصٍ وإيمانٍ مطلقين - كثيرٌ من النفوس البطولية المخلصة؛ إذ التفوا حوله ودافعوا، ببسالة الأسود، عن عهد حضرة بهاء الله في وجه هجمات ناقضي العهد. وبفضل ذلك، استطاعوا أن ينقلوا إلى جيلنا - وإلى الأجيال القادمة - كلمة الله، كما هي دون تحريف، ذلك "الماء الصافي للحياة" الذي سيُحيي، في وقته المقدر، أرواح البشرية جمعاء.

العصر التكويني

مع وفاة «حضرة عبد البهاء» في عام 1921م، بدأ العصر التكويني؛ إذ انقضى فصل الربيع وحلت المراحل الأولى من فصل الصيف وبدأت مرحلة جديدة؛ فقد اكتمل الآن عهد الله العظيم الأبدي مع البشرية في هذا الدور، وهو عهد يختلف عن عهد حضرة بهاء الله مع أتباعه. ويمكن القول إن كل ما أفاضه الله على البشرية في هذا العصر يتألف من أمرين: أولهما بحر وحي حضرة بهاء الله (الذي يشمل أيضاً وحي حضرة الباب)، وثانيهما الوعاء الذي يحتويه، وهو حضرة عبد البهاء. وكان هذا هو جانب الله في العهد.

المطر: *يرمز إلى هطول كلمات حضرة بهاء الله.*

المحيط: *يرمز إلى الطاقات الكامنة في وحي حضرة بهاء الله.*

الوعاء: *يرمز إلى عهد حضرة بهاء الله.*

محطة الضخ: *ترمز إلى المؤسستَيْن التوأم: ولاية الأمر و بيت العدل الأعظم.*

القنوات الرئيسية: *ترمز إلى المحافل الروحية المركزية (الوطنية).*

القنوات الفرعية: *ترمز إلى المحافل الروحية المحلية (مدن وقرى وما الى ذلك).*

لقد توجّب على المؤمنين في "العصر التكويني" أداء دورهم - كما أوصاهم حضرة عبد البهاء في "وصيته المقدسة" - في بناء مؤسساتٍ تعمل كقنواتٍ تهدف إلى إيصال "ماء الحياة" (الذي يمثله بحر وحي حضرة بهاء الله) إلى كل بقاع الأرض. وهذا هو دور البشرية في عهد الله العظيم. وإدراكاً منه لعدم كمالهم ونضجهم، لم يترك حضرة عبد البهاء المؤمنين لوحدهم في هذه المهمة؛ بل منحهم حضرة شوقي أفندي، الذي وصفه بأنه "لؤلؤة فريدة لا تُقدَّر بثمن"، وبأنه "الغصن الأول من سدرة المنتهى الإلهية المقدسة"، ونورٌ "يشرق من مطلع الهداية الإلهية"، و"آية الله على الأرض"، و "وليّ أمر دين الله"، و "مبيّن كلماته ومفسّرها". وخلال فترة ولاية حضرة شوقي أفندي، وصلت فيوضات وحي حضرة بهاء الله - نقيةً وخالصةً من أي شائبة - إلى المؤمنين من خلال مؤسسة "ولاية الأمر". أما المخطط الهيكلي للمؤسسات - سواء على المستوى المحلي أو الوطني أو الدولي، وهي القنوات المصممة لنقل ماء الحياة -

فقد كان قد وُضع بالفعل من قِبل حضرة بهاء الله وحضرة عبد البهاء؛ فكانت مهمة حضرة شوقي أفندي هي مهمة المشيّد.

على غرار تشبيه الخزان والقنوات، يمكن القول إن حضرة شوقي أفندي، عمل بمثابة محطة ضخٍّ تربط بين محيط وحي حضرة بهاء الله وشبكة واسعة من المحافل الروحانية المحلية والمركزية. فكما تُضخ المياه من الخزان لتنتقل أولاً عبر القنوات الرئيسية، ثم عبر أنابيب فرعية تصل - نقيةً وغير ملوثة - لكل بيت؛ كذلك تدفقت القوى المُحيية للعالم في دين حضرة بهاء الله من مركزه العالمي، عبر "ولي الأمر"، لتصل إلى المحافل الوطنية، ومنها إلى المحافل المحلية في جميع أنحاء العالم. وبهذه الطريقة، سرت روح الدين إلى الناس دون أن يشوبها أي تحريف من قِبَل البشر. ومع تأسيس "بيت العدل الأعظم" - الذي تم بعد فترة (قرابة الست سنوات) من رحيل حضرة شوقي أفندي - أُرسِيَ الصرحُ الأسمى للنظام الإداري الذي وضعه حضرة بهاء الله. واليوم، تتدفق القوى المُحيية للعالم - الكامنة في بحر وحي حضرة بهاء الله - من "بيت العدل الأعظم" عبر شبكة واسعة من المحافل الروحانية المركزية والمحلية، لتضفي حياةً روحية على جموعٍ غفيرة في كل بقاع الأرض.

لا يقتصر تدفق هذه القوى على المحافل الروحية فحسب؛ فهناك مسارٌ آخر تتدفق عبره هذه القوى ذاتها، لتمدَّ المجتمع البهائي - إلى جانب المحافل الروحانية المركزية والمحلية - بالحيوية والنشاط. ويُشار إلى هذا المسار عادةً بـ "الذراع المُعيَّن" للنظام الإداري، ويتمثل في مؤسسة "أيادي أمر الله" و"هيئات المستشارين القارية"، وما يتبعها من أعضاء "الهيئات المعاونة" و "مساعديهم". وستتضمن الصفحات التالية إشارةً موجزة إلى هذه المؤسسة، وإلى الدور الحيوي الذي تضطلع به في نمو المجتمع البهائي وتطوره.

آلية عمل المحافل الروحانية

تُعدُّ المحافل الروحية، مؤسساتٍ إلهيةً أسسها حضرة بهاء الله. وقد خصَّ القائمون على خدمتها بفيضٍ لا يُقدَّر بثمن، إذ أتاح لهم المشاركة في تشييد هيكل نظامه العالمي، الذي لا يزال في طوره الجنيني. ومع عظمة هذا الامتياز، يواجه أعضاء هذه المؤسسات مسؤولياتٍ جسام؛ فبإمكانهم - من خلال تطبيق المبادئ الروحية المتأصلة في النظام الإداري - بناء محافل قوية وسليمة، راسخة الأركان تعمل في انسجامٍ تام. أو - على النقيض من ذلك - أن تتحول هذه المحافل إلى هياكل خاوية من الروح، تتسم بالتنظيم الشكلي، لكنها تعجُّ بالتوترات والمشكلات والخلافات وسوء الفهم.

لم يكن البهائيون في الأيام الأولى - أولئك الذين عاشوا وعملوا خلال "العصر البطولي" - يواجهون مثل هذه المسؤوليات أو المشاكل. فقد حظوا بلقاءٍ مباشر مع "مظهر الله الأعظم" و"مركز عهده"، مما جعلهم خَلقاً جديداً تحلَّوا بصفاتٍ إلهية، متجردين تماماً من ذواتهم ومجذوبين كلياً إلى حضرة بهاء الله. وبفضل تشبُّعهم بـ "خمر" كلماته وتفانيهم المطلق في سبيله، غدت تلك النفوس المقدسة - كالنباتات في فصل الربيع - يانعةً بفضل أمطار وحيه، لقد استمدوا قوتهم وغذاءهم الروحي مباشرةً وبشكلٍ مستقل من "مركز الأمر". كان لهؤلاء المؤمنين الأوائل تواصلٌ مباشر مع حضرة بهاء الله وحضرة عبد البهاء، وكثيرٌ من الألواح

التي بين أيدينا اليوم قد نُزِّلت استجابةً لأسئلتهم. وفي ذلك العصر، لم يكن هناك أيُّ مبررٍ للضغينة أو سوء الفهم أو التوتر أو النزاع بين المؤمنين؛ إذ لم تكن لديهم آنذاك حياةٌ مجتمعية منظمة، وفي تلك الحقبة تحديداً، أنجب "الأمر المبارك" عمالقةً روحانيين.

أما في "العصر التكويني"، فيتحتم على أتباع بهاء الله أن يعملوا معاً ضمن المجتمعات البهائية. فقد توقفت الأمطار الربيعية لوحي بهاء الله، ولم يعد في إمكان روح "أمر الله" - ذلك "ماء الحياة" الذي بعث الحيوية في نفوس تلك الثلّة من الأبطال المفعمين بحب الله في عصرٍ سابق - أن تصل إلى المؤمنين وتنعشهم اليوم، إلا من خلال مؤسسات نظامٍ أُرسيت دعائمه بأمرٍ إلهي. وفي معرض حديثه عن نشأة "النظام الإداري" - الذي وضع هو نفسُه أسسَه، والذي ستظل روحُه بلا شك مهيمنةً على الحقبة بأكملها من "العصر التكويني" للدين البهائي - لخّص "وليُّ الأمر" هذه العمليةَ في الكلمات التالية:

"لقد حانت اللحظةُ لكي تتجسّدَ تلك الروحُ الخالدةُ - تلك الروحُ التي تمنحُ الحياةَ للعالم، والتي وُلِدَت في شيراز، وتجدّدَ اتّقادُها في طهران، وتأجّجت في بغداد وأدرنة، وانتقلت إلى الغرب، وباتت الآن تُنيرُ أطرافَ القاراتِ الخمسِ - في مؤسساتٍ صُمِّمَت لتوجيهِ طاقاتِها المُنتشرةِ وتحفيزِ نموِّها."

لقد أفيض هذا الروحُ المُحيي للعالم، للمؤمنين من خلال شخصيّ حضرة بهاء الله وحضرة عبد البهاء إبّان "العصر البطولي" للدين؛ غير أنّ حضرة شوقي أفندي يوضّح في النصّ المذكور أعلاه، أنّ هذه الروحَ ذاتَها - التي تُحيي النفوسَ وتمنحُ هبةَ الإيمان - تتدفّقُ الآن، في "العصر التكويني"، عبر مؤسساتِ الدين، أي "المحافل الروحانية" التي ستتطوّرُ مستقبلاً لتُصبح "بيوتَ عدلٍ" محليةً ومركزية. ويترتّبُ على ذلك أنّ "المحفل الروحاني المحلي" يُصبحُ الوسيلةَ التي تُمكّنُ قوى وحيِ حضرة بهاء الله من الوصولِ إلى أيِّ منطقةٍ، وتُتيحُ للمؤمنين تقديمَ طاقاتِها الواهبةِ للحياةِ إلى مواطنيهم.

من المهم إدراك أن ما يرسّخ إيمان الفرد بحضرة بهاء الله، هي القوى الروحية الكامنة في وحيه؛ وبما أن هذه القوى تتدفق عبر مؤسسات دينه، فإن "المحفل الروحاني" - الذي يعمل كقناة - يؤدي دوراً حيوياً في إطلاق الطاقات الروحية المنبثقة من بحر وحي حضرة بهاء الله داخل المدينة أو البلدة أو القرية.

وفي حال عدم توفر العدد الكافي من المؤمنين لتشكيل "محفل روحي محلي"، فإن "المجموعة البهائية" - التي تتألف من مؤمنين يتراوح عددهم بين اثنين وثمانية - تقوم مقام هذه القناة؛ إذ يمكن اعتبار المجموعة بمثابة جنينٍ لمحفلٍ مستقبلي. كما يمكن للمؤمن الذي يعيش بمفرده، والذي يمثل نواةً لمحفلٍ ما، أن يصبح هو أيضاً قناةً تتدفق من خلالها الروحُ المُحيية للعالم - روحُ هذا الدين - لتصل إلى الآخرين.

وكل هذا يشير إلى أن مؤسسات الدين - على المستويات المحلية والوطنية والدولية - وباعتبارها حاملةً لروح وحي حضرة بهاء الله، تُعدّ وسائل لا غنى عنها لنشر دين حضرة بهاء الله في جميع أنحاء العالم.

لا يُعدّ "المحفل الروحاني" مجرد اجتماع لتسعة مؤمنين، بل هي مؤسسة إلهية يصبح أعضاؤها وسيلةً لتدفّق الروح. فغالباً ما ينتمي أعضاء المحافل الروحانية إلى خلفيات اجتماعية وفكرية وروحية متباينة؛ إذ يجتمع الصغار والكبار، والأغنياء والفقراء، والمتعلمون والأميون، والأعضاء القدامى والجدد، ليشكّلوا معاً هيئةً واحدة. إن هذا التنوّع في الأفكار والثقافات والعادات والخلفيات - الذي قد يؤدي في سياقات أخرى إلى تعارضٍ يعيق عمل أي منظمة - يتحوّل في المحفل الروحاني إلى مصدرٍ للقوة والبركة. فبدلاً من التركيز على تباياناتهم في التعليم أو القدرات أو الكفاءات، يعمل الأعضاء معاً - وفقاً لروح "النظام الإداري" الذي وضعه حضرة بهاء الله - لتكوين كيانٍ يسوده الحب والانسجام، ينبض بروح "الأمر الإلهي" (الدين)، ويُبرهن بذلك على حيوية قوته الرابطة.

دور الفرد

بالاستناد إلى التشبيه السابق الذي يُشبّه المحافل الروحية بقنواتٍ تجري فيها مياه الحياة، يمكن تشبيه كل عضوٍ من أعضائها بلبنةٍ من اللبنات التي تتكون منها تلك القناة. لنفترض أننا بنينا قناةً من تسع لبنات، تختلف كلٌّ منها عن الأخرى في الحجم والشكل، ثم تأملنا الضغوط والإجهادات التي تتعرض لها هذه القناة أثناء تدفق المياه عبرها. فإذا وُضعت هذه اللبنات التسع معاً بحيث تكون جوانبها الملساء موجهةً نحو داخل القناة، فإن المياه ستنساب بحرية. أما إذا برزت بعض اللبنات في مسار التيار، فسيؤدي ذلك إلى حدوث اضطرابٍ في التدفق. وحينها، ستتعرض كل لبنةٍ لضغوطٍ هائلة.

القناة الطبيعية: تتكون من أحجار ذات أسطح ملساء موجهة نحو الداخل، وهي ترمز إلى أعضاء "المحفل" الذين أخضعوا ذواتهم (أناهم). وهي قناة يتدفق فيها الماء بسلاسة، مما يرمز إلى محفلٍ يعمل بفاعلية ونشاط. أما القناة التي يشوبها الاضطراب، فتتميز بوجود أحجارٍ تبرز في مسار التيار؛ وهي ترمز إلى "الأنا" والطموحات الأنانية لدى أعضاء المحفل، والتي قد تؤدي في نهاية المطاف إلى تدمير القناة. وبالمثل، إذا اجتمع أعضاء "محفلٍ روحاني" بروحٍ من الانسجام والوحدة، وتخلصوا من رغباتهم الأنانية، ونبذوا ذواتهم، وانصهروا واتحدوا في كيانٍ واحدٍ بفضل محبتهم لبهاء الله؛ فإن هذا المحفل يصبح حينئذٍ محفلاً روحانياً. إذ سيجذب فيوضات حضرة بهاء الله. ومن خلال هذا المحفل تتدفق روح التعاليم وقوتها إلى البشرية. أما إذا جلب الأعضاء معهم شعوراً بالتفوق واعتزازاً بإنجازاتهم الشخصية، وبرزت ذواتهم كالأحجار في مجرى القناة، فإن هذا المحفل - على حد تعبير حضرة عبد البهاء - سيؤول إلى الزوال وسيتحول المحفل حينها إلى مركزٍ للاضطراب، وقد تغلق القناة التي تحمل روح الأمر تماماً. وسيمر المحفل بفترةٍ من الألم الشديد والمعاناة والتوتر، وغالباً ما يكون أكثر المتأثرين بذلك، هم أولئك الذين أطلقوا العنان لرغباتهم وذواتهم. إن القوى العظيمة للدين، وهي تتدفق عبر هذه المؤسسة، ستُمارس ضغطاً هائلاً على تلك العقبات؛ وكما يرتطم التيار بالأحجار البارزة في المجرى فيجرفها في نهاية المطاف، كذلك لا يفسح "النظام

الإداري" مجالاً للشخصيات المتكبرة أو التي تغذيها الأنانية. إنه يدعو إلى التواضع ونكران الذات، وإلى الخدمة والتجرّد. والمعيار الذي يطلبه من كل عضوٍ في المحفل يتجلى في كلمات "المولى" (حضرة عبد البهاء) التي يحث فيها المؤمنين على سلوك طريق التواضع والخدمة، حيث يقول: "اجعلني كالتراب في ممر الأحباء...".

لقد أشاد حضرة بهاء الله، في العديد من ألواحه، بالتواضع والعبودية باعتبارهما أسمى مقامٍ قُدِّر للإنسان بلوغه. ولا يمكن لأي عملٍ - مهما بلغت قيمته - أن يحظى بقبول الله، إلا إذا تحلى المرء بهاتين الفضيلتين. لننظر، على سبيل المثال في ماهية الهدية الأكثر قبولاً التي يمكن للمرء أن يقدمها لصديق؛ إنها بلا شك شيءٌ لا يملكه ذلك الصديق بالفعل. فما الذي يمكن للإنسان أن يقدمه لله ليكون مقبولاً لديه؟ إن الله يملك كل شيء. فإنجازات الإنسان، ومعرفته، وفضائله، وثروته، وسلطانه - حتى لو قُدّمت جميعها إلى الله في نهاية العمر - لا تعدو كونها عدمًا محضًا إذا ما قورنت بمجد الله المتعالي. ومع ذلك، ونظراً لسيادته وهيمنته المطلقة، فإن التواضع ليس من صفاته؛ ولذا، فهو يرى في التواضع أثمنَ هدية يمكن للإنسان أن يقدّمها. ويُعدّ التواضع وروح الخدمة تجاه المؤمنين صفتين جوهريتين لأعضاء المحافل الروحية؛ فبدونهما، تتبدد روح المحبة والوحدة التي ينبغي أن تسود أثناء التشاور، ويفقد المحفل قدرته على العمل وفقاً لروح النظام الإداري.

تأثيرات النظام القديم

من العناصر الضارّة الأخرى التي قد تتسرب إلى المؤسسات الناشئة للدين، هي التأثيراتُ السيئة للنظم القديمة؛ تلك النظم التي بدأت بالتفكك منذ أن قوبلت دعوة حضرة بهاء الله للملوك والحكام بالتجاهل. وحَمَلةُ هذه التأثيرات الضارة هم المؤمنون الذين يعيشون ويعملون في العالم الخارجي؛ وهو عالمٌ يكتنفه ظلام الكفر والإلحاد، ويعاني من مجاعة روحية، ويعج بالفساد والتحيّز والصراعات، وتَسودُه معايير زائفة ومؤسساتٌ واهيةٌ بالية، تعمل في الغالب ضمن إطارٍ قائمٍ على المؤامرات والخداع والشقاق. لذا، فإن المؤمنين - مهما بلغت درجة إخلاصهم - قد ينقلون معهم، دون قصد، بعض معايير وممارسات النظام القديم إلى داخل "المحفل" (الهيئة الإدارية)، ما لم يظلوا على يقظةٍ تامة؛ إذ إن تلك المعايير والممارسات غريبةٌ كل الغرابة عن روح الدين ومؤسساته التي أُرسيت بأمرٍ إلهي.

أحجارٌ صلبة: *ترمز إلى أعضاء "المحفل" الثابتين على العهد.*

أحجارٌ ذات طبيعة مسامية تسمح بنفاذ الشوائب إلى القناة: *ترمز إلى المؤمنين الضعفاء.*

الشوائب التي تتسرب إلى القناة: *ترمز إلى المعايير الفاسدة للنظم القديمة التي قد تنتقل إلى النظام الجديد.*

التربة والشوائب الأخرى المحيطة بالقناة: *ترمز إلى النظام القديم الذي يُبنى في خضمه النظامُ الجديد.*

لنتأمل في مثال القناة المكوّنة من تسع لبنات؛ فمع أن ماءً صافياً يجري في داخلها، إلا أن القناة نفسها محاطة بالتراب ومطمورة فيه. فإذا كانت إحدى تلك اللبنات مصنوعة من مادة مسامية، فإنها ستسمح لبعض الشوائب من الخارج بالنفاذ إلى داخل القناة، فيتلوث الماء بالتراب والأوساخ. أما إذا كانت اللبنات قوية وصلبة ومحصنة، فلن يتسرب من الخارج شيء من خلالها، وسيظل الماء داخل القناة نقياً صافيًا غير ملوث. وينطبق هذا الأمر على أعضاء "المحفل الروحاني"؛ إذ تعتمد قوة الأعضاء وتكاتفهم وثباتهم على إيمانهم بحضرة بهاء الله وطاعتهم لأوامره. أما المؤمن الفاتر أو ضعيف العزيمة - الذي لا يكون إيمانه بحضرة بهاء الله إيماناً صادقاً وكاملاً - فمن المرجح أنه يتأثر بالمعايير المتسيبة، والنظريات المنحطة، والممارسات الفاسدة لنظامٍ يشهد تدهوراً سريعاً؛ وقد يصبح هو نفسه وسيلةً لتسريب بعض تلك العناصر الضارة إلى المؤسسات الناشئة لدين حضرة بهاء الله العالمي.

إن دين حضرة بهاء الله أسمى بكثير من مخاوف وشكوك وحيرة المؤسسات القديمة البالية والعقائد المتقادمة الأخرى، سواء أكانت اجتماعية أم سياسية أم دينية، ولا يتأثر بأي شكل من الأشكال بالفلسفات والنظريات المختلقة والجوفاء والملحدة التي انتشرت في العصر الحديث والتي فشلت فشلاً ذريعاً في تقديم حلول مقبولة للمشاكل التي تواجه البشرية. أما أعضاء المحافل الروحانية الذين أقروا بمقام حضرة بهاء الله وثبتوا على عهده، فهم في مأمن من تأثيرات النظم القديمة المسمومة. بفضل إيمانهم الراسخ بحضرة بهاء الله، وولائهم المطلق لحضرة عبد البهاء وحضرة شوقي أفندي وبيت العدل الأعظم، واستقامة سلوكهم، والتزامهم الدائم بقوانين وتعاليم وأحكام حضرة بهاء الله، فإن هؤلاء الأعضاء مُحصَّنون ضد التأثيرات الشريرة التي تُمارس ضغوطًا على المؤسسات الإلهية الوليدة، ومحميون منها. وتُعدّ هذه النفوس حقًا، كالحجارة الصلبة المنيعة في مسار النظام الإداري.

الثبات على العهد

الإيمان مصطلح نسبي، وتتفاوت درجاته من شخص لآخر. فعندما يدرك الفرد لأول مرة حقيقة رسالة حضرة بهاء الله، تتقد شرارة الإيمان في قلبه. وهذه الشرارة يمكن أن تنمو لتصبح لهيباً قوياً - إذا ما سمح المرء لمحبة حضرة بهاء الله - بالتغلغل في قلبه، وينهض لخدمة قضيته، وينغمس في بحر كلماته. وبهذه الطريقة وحدها، يحظى القلب بنصيب متزايد مستمر من التأييد واليقين.

لا توجد قصة بين قصص المؤمنين الأوائل، أكثر تأثيراً من قصة شهداء هذا الدين، الذين نهضوا - بكل شجاعة وبطولة فائقة - لنشر أمر الله، وظلوا ثابتين راسخين حتى شهدوا في نهاية المطاف بدمائهم على صدق وحي حضرة بهاء الله. لقد بلغ هؤلاء الأفراد أسمى درجات الإيمان، وكانوا تجسيداً لليقين والطمأنينة. ومن القصص الملهمة للغاية التي سُجِّلت في تاريخ هذا الدين، قصة "روح الله ورقاء"، ذلك الشهيد اليافع الذي كان بطلاً، بل ونموذجاً استثنائياً في النضج الروحي. ففي سن الثامنة، حظي هذا الفتى بشرف المثول بين يدي حضرة بهاء الله في عكاء، وأظهر من خلال حبه لـ "الجمال المبارك" نضجاً وفهماً عميقين، مما بعث في نفوس المؤمنين الإلهام والسمو، وجعلهم يدركون عظمة روحه. وبسبب تفانيه في خدمة هذا الأمر وحماسه لنشره، قادته الأقدار - بعد فترة وجيزة من لقائه بمولاه - إلى سجن طهران،

حيث شارك والده الجليل - الشاعر البارز ومبلّغ الدين "علي محمد" (الذي لقّبه "القلم الأعلى" بـ "ورقاء" أي "الحمامة"، وهو أحد حواريي حضرة بهاء الله) - في تحمل محن السجن ومعاناته. وفي ذلك السجن، شهد بعينيه جسد والده الحبيب وهو يسقط صريعاً تحت خنجر الجلاد. وبعد فترة وجيزة، وإذ رفض التخلي عن إيمانه ورغب في اللحاق بوالده، قُتل خنقاً وهو في الثانية عشرة من عمره.

كان حضرة عبد البهاء وشقيقته «الورقة المقدسة العليا» يكنّان إعجاباً وحباً كبيرين لروح الله، وكانا يستمتعان بالحديث معه حين كان في عكاء. ويُروى عنه أنه في أحد الأيام، سأل حضرة عبد البهاء روحَ الله كيف يقضي وقته في البيت، فأجاب: «نحن نُعرِّف الناس بالدين، ونخبرهم بقدوم الموعود». وبدا على «المولى» الاستمتاعُ بالحديث مع هذا الشاب الرائع، فأراد اختباره وسأله: ماذا ستفعل لو تبيّن أن حضرة «الباب» ليس هو الموعود الحقيقي، وأن رسولاً آخر هو الموعود الفعلي؟ فأجاب روح الله على الفور: «سأُعرِّفه بالدين». هذا مثال على الإيمان الصادق، واليقين المطلق، والثبات على العهد.

ومع أن «العصر البطولي» قد انقضى، إلا أن المؤمنين في «العصر التكويني» يواجهون اختباراتٍ من نوعٍ آخر. ومن مجالات الاختبار هذه: اجتماعات «المحفل الروحاني»؛ حيث يُختبر الفردُ في أفكاره وأقواله وأفعاله، وتظهر من خلال ذلك سماته وإمكاناته. ولعل خير حماية للمؤمنين هي الثبات على العهد، وهو ما يعني - ببساطة - طاعة حضرة بهاء الله، ومن بعده حضرة عبد البهاء، وحضرة شوقي أفندي، وصولاً في يومنا هذا إلى طاعة «بيت العدل الأعظم». إنها مسألة إيمانية؛ فكل بهائي آمن بحضرة بهاء الله باعتباره «المظهر الإلهي الأعظم»، يكون قد قبل – ضمناً - هذا المبدأ الجوهري في الأمر المبارك.

قد يجد المرء في هذا الدين تعاليم أو مبادئ كثيرة يتفق معها؛ لكن إيمان المؤمن يُختبر حقاً عندما يصادف قولاً أو فكرةً تتعارض مع طريقته في التفكير. وفي هذا المقام، يمكن القول إنَّ مدى الثبات على العهد يتحدد بمدى استعداد المرء للإقرار - بصدق ومن صميم القلب - بأنَّ حضرة بهاء الله ومَن خصَّهم بالعصمة، هم مؤيَّدون بتأييدٍ إلهي، وأنَّ كلماتهم وتعاليمهم وإرشاداتهم منزّهةٌ عن الخطأ، في حين أنَّ العقل البشري محدود، وأنَّ أحكام الإنسان كثيراً ما تكون خاطئة.

المعايير الروحية

تُلقى على عاتق أولئك الذين يُدعون للخدمة في المحافل الروحية مسؤوليةٌ جسيمة، وهي ضمانُ التطبيق الأمين للمبادئ الإدارية - التي كشف عنها قلمُ حضرة بهاء الله، وبسطها حضرة عبد البهاء، وفصّلها حضرة شوقي أفندي - في سير عمل هذه المؤسسات.

ومن الأمثلة المهمة على تطبيق هذه المبادئ، عملية التشاور في المحفل الروحاني. فالمعايير التي ينبغي لأعضاء المحافل الروحانية - وفقاً لما ذكره حضرة بهاء الله وحضرة عبد البهاء - الالتزامُ بها أثناء تشاورهم، هي معايير رفيعة للغاية. إذ يكتب عبد البهاء: "إنَّ الشروطَ الأساسيةَ لمن يتشاورون معاً هي: طهارةُ النية، وإشراقُ الروح، والانقطاعُ عما

سِوى الله، والانجذابُ إلى نفحاته الإلهية، والتواضعُ والخشوعُ بين أحبائه، والصبرُ والتحمّلُ في مواجهة الصعاب، وخدمةُ عتبته المقدسة".[14]

ويتمثّل الشرطُ الأول، في وجود محبّةٍ ووئامٍ تامَّين بين أعضاء المحفل؛ إذ يجب أن ينتفيَ بينهم أيُّ شعورٍ بالتباعد أو الجفاء، وأن يتجلّى فيهم "توحيدُ الله"؛ فهم كأمواجِ بحرٍ واحد، وقطراتِ نهرٍ واحد، ونجومِ سماءٍ واحدة، وأشعّةِ شمسٍ واحدة، وأشجارِ بستانٍ واحد، وأزهارِ حديقةٍ واحدة.

إنَّ تطبيقَ هذه المعايير الروحية يجعل من "التشاور البهائي" ميدانَ اختبارٍ لكلِّ عضوٍ من أعضاء المحفل. فجميعُ فضائلِ الفرد - من إيمانٍ وشجاعةٍ وثباتٍ على العهد - تخضع لاختبارٍ دقيقٍ حين يجلس الأعضاءُ حول مائدة التشاور. وهنا تبدأ المعركةُ الروحيةُ في أعماقِ النفسِ الإنسانية، وتستمرُّ ما دامت "الأنا" (أو الذاتُ الأمّارة) تفرضُ سيطرتَها؛ بل قد تمتدُّ هذه المعركةُ في كثيرٍ من الحالات لتشملَ حياةَ المرءِ بأكملها. وفي ساحةِ الصراعِ هذه، تصطفُّ قوى النورِ في مواجهةِ قوى الظلام؛ فمن جهةٍ يقفُ الكيانُ الروحاني - أي روحُ المؤمن - ومن الجهةِ الأخرى يقفُ عدوٌّ لدود، وهو "النفسُ" أو "الأنا".

يرفع "المولى" راية الروحانية عالياً، ومن يوجّه قلبه نحو "عالم المجد" يستطيع - بآذان الروح - أن يسمع بوضوح في كل اجتماع من اجتماعات "المحفل" صوت المولى نابضاً بالحياة، وهو يدعونا إلى: "نقاء القصد، وإشراق الروح، والتجرّد، والانجذاب إلى نفحاته الإلهية، والتواضع، والتحلي بالصبر وطول الأناة في مواجهة الصعاب بين أحبائه، والقيام بالخدمة، والمحبة، والانسجام، والتفاني، والكياسة، والوقار، والرعاية، والاعتدال، والتحرر من أي جفاء".

هذه الصفات - وغيرها الكثير - هي المتطلبات الأساسية للتشاور البهائي. وحين تصغي النفس لهذه المعايير السامية التي وضعها "حضرة عبد البهاء"، وتطبقها - كلما دعت الحاجة - أثناء التشاور، فإن "الأنا" تنهزم وتتراجع إلى الوراء. وهكذا تخرج النفس منتصرة من هذه المعركة، وتتألق بنور الإيمان والتجرد. غير أن تطبيق هذه المبادئ الروحية يجب أن يكون صادقاً، لا مجرد مظهرٍ سطحي؛ فمشاعر المحبة والوحدة والتجرد والانسجام يجب أن تنبع من القلب، لا أن تقتصر على شكلٍ خارجي فحسب. فالتواضع، والعبودية (في الخدمة)، والإشراق، والتفاني، والكياسة، والصبر، وسائر الفضائل الأخرى، هي في جوهرها صفاتٌ روحية لا يمكن تجسيدها بمجرد الكلام اللفظي. فإذا اقتصر الأمر على ذلك، تكون "الأنا" هي المنتصرة.

حضور حضرة بهاء الله

قد لا يكون من السهل على أي شخص بلوغ مثل هذه المعايير السامية أثناء التشاور البهائي؛ فمهما بلغ الأعضاء من الإخلاص والتفاني، فإنهم كثيراً ما يخفقون في تطبيق هذه المبادئ خلال اجتماعات المحفل. غير أن هناك قوةً عظيمةً داخل المحفل الروحاني - غالباً ما يُغفل عنها - قادرةً على تحويل الإخفاقات والنقائص البشرية إلى تطلعات نبيلة وأعمالٍ

جديرةٍ بالثناء. وبوسع هذه القوة أن تغير أجواء المحفل الروحاني، فتُبدّل التوتر والخلاف الى محبةً ووحدةً. وحين يتحرر المحفل من تعقيدات الجدال والنزاع، يصبح قناةً مثاليةً تتدفق من خلالها روحُ الأمرِ البهائي إلى البشرية جمعاء. وتتمثل هذه القوة الفاعلة في حضور حضرة بهاء الله في المحفل؛ فقد نصّ في "الكتاب الأقدس" على أنه ينبغي للأعضاء، حين يجتمعون في قاعة التشاور، أن يعتبروا أنفسهم في محضر الله، وهو في حقيقته حضورُ حضرة بهاء الله.

وهذا الحضور حقيقيٌّ وليس مجرد تصورٍ خيالي؛ إذ يدعو حضرة بهاء الله الأعضاءَ لا إلى اعتبار أنفسهم في محضره فحسب، بل لمشاهدة مَن لا يرى".[17]

في هذه الحياة، غالبًا ما تكون الحقائق الجوهرية غير مرئية بالعين البشرية؛ فهذا العالم المادي - بكل ما يزخر به من مظاهر - ليس سوى ظلٍّ للواقع الحقيقي. إن عالم الحقيقة هو عالمٌ روحاني، ولا يمكن إدراكه إلا من خلال التحلي بصفاتٍ روحانية. ويُعدّ حضور حضرة بهاء الله في "المحفل الروحاني" حقيقةً تفوق في واقعيتها أي شيءٍ آخر داخل هذا الكيان؛ فعندما يجتمع الأعضاء، فإنهم في الواقع يجلسون في محضره، كما أكّد هو بذاته. وحين يدرك أعضاء المحفل هذه الحقيقة إدراكًا عميقًا، ويتمكنون - ببصيرةٍ روحانية - من رؤية حضرة بهاء الله في وسطهم، فإنهم سيغرقون في بحرٍ من التواضع ونكران الذات، وستغمرهم روحٌ جديدة تضفي عليهم إشراقًا وبهاءً. إن حضور حضرة بهاء الله سيصهر الأعضاء التسعة في جسدٍ واحد، بحيث يتلاشى أي تركيزٍ على عيوب الآخرين أو نقائصهم. وهكذا، تصبح كل كلمةٍ ينطق بها عضوٌ ما، وكل فكرةٍ يطرحها، وكل مساهمةٍ يقدمها أثناء التشاور، موجهةً في جوهرها إلى حضرة بهاء الله، بروحٍ مفعمةٍ بالتواضع والعبودية. وفي ظلّ أجواءٍ كهذه، يكتسب التشاور البهائي طابعًا بنّاءً حقًّا؛ إذ يجد كل عضوٍ نفسه مدفوعًا لطرح أفكاره بكل صراحةٍ ومودة.

إن الحواجز النفسية - التي قد تمنع المرء أحيانًا من التعبير عن آرائه الشخصية، سواءً خوفًا من فقدان مكانته في المجتمع أو خشيةً من إزعاج الأعضاء الآخرين في المحفل - ستتلاشى، لتحلّ محلّها الشجاعة والحكمة. بل إن الفرد، حين يتوجه إلى حضرة بهاء الله بدافعٍ نقيّ وصادق، ستكتسب كلماته تأثيرًا بليغًا في نفوس السامعين، بحيث لا يجد أحدٌ فيها ما يزعجه أو يسيء إليه.

إن استشعار حضور حضرة بهاء الله في المحفل سيخلق مناخًا روحانيًا؛ حيث تتواضع النفوس، وتتلاشى مشاعر التعالي، وتُنبذ الأنا جانبًا. ففي محضر بهاء الله، كيف يمكن لأحدٍ أن يرى نفسه أسمى أو أفضل من بقية الأعضاء؟ من ذا الذي قد يقلل من شأن رأي الآخر، سواء كان ذلك علنًا أو في قرارة نفسه؟ ومن ذا الذي قد يفقد أعصابه، أو يرفع صوته، أو يقاطع صديقًا له أو يجادله في المجلس، أو يتخذ موقفًا - أو يتحدث بأسلوب - من شأنه أن يؤذي نفسًا أخرى؟

التشاور الحقيقي

إنَّ المحفل الروحاني الذي يعمل على هذا النحو هو، في الحقيقة، «مُعيَّنٌ من قِبَل الله».[18] وبكلماتٍ تبعثُ على الطمأنينة، يخاطبُ «عبد البهاء» أعضاء المحافل الروحانية قائلاً: «يا أيها الثابتون على العهد». وهو - أي عبد البهاء - على تواصلٍ روحيٍّ دائمٍ مع أيِّ محفلٍ روحانيٍّ تأسَّس بفضل العناية الإلهية، ويتوجَّه أعضاؤه - بمنتهى التفاني - نحو الملكوت الإلهي، ويظلون ثابتين على العهد. فهو مرتبطٌ بهم من كلِّ قلبه، وتجمعُه بهم روابطُ أبديةٌ لا تنفصم.

والتشاور البهائي، حين يُمارَس وفقاً لروح "النظام الإداري"، يصبح عمليةً إبداعيةً تتبلور من خلالها الآراء والأفكار المختلفة لتتحول إلى قرارٍ متوازنٍ وناضج. فعلى أعضاء المحفل أولاً الإلمام بالحقائق المتعلقة بالموضوع المطروح للبحث، ثم - وفي جوٍّ يملأه التضرع والدعاء - طرحُ وجهات نظرهم وآرائهم بكل صراحةٍ ووضوح.

يقول حضرة عبد البهاء في هذا الأمر: «تكتسي المشاورة أهميةً بالغة؛ والمقصود بها هو التشاور الروحي، لا مجرد التعبير عن الآراء الشخصية... والهدف من ذلك هو التأكيد على أن غاية المشاورة يجب أن تكون تقصّي الحقيقة... وينبغي للإنسان أن يزن آراءه بمنتهى الإخلاص والهدوء والسكينة». وأن ينظرَ بعنايةٍ في الآراءِ التي طرحَها الآخرون قبلَ أن يُبديَ رأيَهُ الخاص. فإذا وجدَ أنَّ رأياً طُرِحَ سابقاً هو أكثرُ صواباً وأجدرُ بالأخذِ به، فعليهِ أن يقبلَهُ فوراً، وألا يتمسكَ برأيهِ الشخصيِّ تعنُّتاً... لذا، فإنَّ المشاورةَ الحقيقيةَ هي تداولٌ روحيٌّ يسودُهُ جوٌّ من المحبة؛ إذ يجبُ على الأعضاءِ أن يُحبَّ بعضُهم بعضاً بروحِ الأُلفةِ والزمالةِ لكي تتحققَ النتائجُ الطيبة، فالمحبةُ والأُلفةُ هما الأساس».[20]

غالباً ما تُحفِّزُ الفكرةُ التي يطرحُها أحدُ الأعضاءِ أفكاراً أخرى، وتتوالى هذه الأفكارُ وتتفاعلُ فيما بينها حتى تتبلورَ في صورةِ قرارٍ يُعتمدُ بالإجماع؛ وهذا القرارُ هو ثمرةُ المشاورةِ البهائيةِ. وفي حالاتٍ أخرى، قد يُتخذُ القرارُ بأغلبيةِ الأصوات، وهو في هذه الحالةِ لا يقلُّ صحةً، ويلتزمُ جميعُ الأعضاءِ بدعمِهِ بكلِّ إخلاصٍ؛ وذلك ببساطةٍ لأنَّ "حضرة عبد البهاء" قد أوصى المؤمنين بذلك. ويُعدُّ هذا أحدَ المبادئِ الروحيةِ التي تحكمُ آلياتِ عملِ "النظامِ الإداريِّ"؛ فإذا لم يصدرْ هذا الدعمُ من صميمِ القلب، فإنَّ الفردَ يكونُ قد خالفَ روحَ هذا الدين.

إنَّ عضوَ "المحفلِ" الذي يلتزمُ بمبادئِ الدينِ ويحرزُ تقدماً روحياً، لا يمكنُ أن يراودَهُ خاطرُ في تنسيب الفضلِ إلى نفسِهِ بسببِ اقتراحاتِهِ أو أفكارِهِ، مهما كانت قيّمةً أو متميزة. فالتشبثُ بالرأي، والجمودُ الفكريُّ، والعنادُ، والميلُ إلى الجدالِ أثناءَ المشاورةِ البهائيةِ؛ كلُّ ذلك يُعدُّ مناقضاً لروحِ الدينِ ذاتِها. كما أنَّ ممارساتٍ مثلَ فرضِ الأفكارِ، أو حشدِ التأييدِ (اللوبي)، أو الضغطِ لإقناعِ الآخرين - وهي أساليبُ شائعةٌ في مؤسساتِ الأنظمة القديمة - تُعدُّ مخالفةً لتعاليمِ "حضرة بهاء الله".

لا مساومة على المبادئ

في سعيهم لحل مشكلة ما على نحو يرضي الجميع، أو حرصاً منهم على عدم جرح مشاعر أفراد معينين أو المجتمع ككل، قد يتخذ أعضاء "المحفل الروحاني" - أحياناً دون وعي أو حتى بدافع غريزي - قراراً يقوم على المساومة على مبدأ أساسي. وهذا مظهر آخر

من مظاهر التأثير الضار للنظم القديمة، لا شك أنه يلحق الضرر بسير عمل المحفل الروحاني. فبينما تلجأ المؤسسات غير البهائية - سواء كانت اجتماعية أو سياسية أو دينية - إلى المساومة كأداة فعالة لحل مشكلاتها، تستمد المؤسسات الناشئة للنظام العالمي الجديد قوتها وحيويتها من حقيقة كلمة الله التي كشفها حضرة بهاء الله.

إن القوانين والمبادئ والتعاليم التي جادت بها أربعون عاماً من الوحي المتواصل على البشرية - والتي ينبغي أن تحكم عمل هذه المؤسسات لفترة لا تقل عن ألف عام - هي جميعاً واضحة وصريحة، ولا تقبل التغيير أو المساومة. وعلاوة على ذلك، فقد كشف "حضرة عبد البهاء" - خلال سنوات خدمته التي امتدت لتسعة وعشرين عاماً - عن الروح الجوهرية لهذه التعاليم ووضّح معانيها. وتلا ذلك ستة وثلاثون عاماً من فترة "ولاية الأمر"، حيث قام حضرة "شوقي أفندي" - من خلال مراسلاته مع الأفراد والمحافل - ليس فقط بتوسيع نطاق تفسيرات حضرة عبد البهاء، بل أيضاً بتطبيق معظم هذه القوانين والمبادئ على حالات محددة. ومع أن لأعضاء المحافل الروحانية كامل الحرية في التعبير عن آرائهم والمبادرة بطرح أفكارهم أثناء مداولات المحفل، ومع توفر مساحة واسعة لهم للتشاور واتخاذ القرارات في المسائل التي تقع ضمن نطاق اختصاصهم، إلا أنهم ملزمون باتباع توجيهات حضرة بهاء الله، وحضرة عبد البهاء، وحضرة شوقي أفندي، وبيت العدل الأعظم، وتطبيقها على ظروفهم الخاصة دون أي مساومة. وفي الواقع، فإن هذا الفيض من الهداية الإلهية يمنح توجيهاً واضحاً للتشاور البهائي في كل اجتماع من اجتماعات المحفل، مما يمكن الأعضاء من تجنب الكثير من العثرات، والوصول إلى قرارات تتوافق مع روح الدين.

المبادئ الإدارية

من السمات الفريدة لهذا الدين، أن حضرة بهاء الله قد كشف عن مجموعة جديدة من التعاليم - غير مسبوقة في الأدوار الدينية السابقة - صُممت لتنظيم عمل المؤسسات الإدارية لأمره. فخلال كامل فترة "الدور الرسولي" - الذي بدأ بآدم وانتهى بمحمد، وامتد ليشمل حتى "الدور البابي" - ظل نطاق التعاليم الروحية وتطبيقها ثابتًا تقريبًا. ولعل "الموعظة على الجبل"، التي تجسد التعاليم الروحية والأخلاقية للمسيحية، تُعد نموذجًا أساسيًا وجوهرًا للتعاليم الروحية في جميع الأديان. فلقد تركت هذه التعاليم أثرًا عميقًا ودائمًا في حياة الناس وأعمالهم؛ فلم ينجح مرور الزمن، ولا حتى عجز الأديان القديمة عن مواكبة مشكلات عصرنا الراهن، في محو تعاليم روحية خالدة من قلوب الناس؛ تلك التعاليم التي نشأوا عليها، ورسخت في عقولهم ونفوسهم حتى باتت أشبه بطبيعة ثانية لهم. وقد بلغ هذا التأثير من العمق مبلغاً جعل الكثيرون ممن أصيبوا بخيبة الأمل، وفقدوا إيمانهم، وانضموا إلى صفوف اللا أدريين أو الملحدين، أن يجدوا أنفسهم مدفوعين بوازع ضميرهم إلى تبنّي هذه المبادئ الإنسانية والروحية كنهجٍ في حياتهم.

لم يسبق - قبل بزوغ "الدور البهائي" - أن قام مظهرٌ إلهي، ومركز عهده، بتوسيع نطاق التعاليم الروحية لتشمل منظومة من المبادئ الإدارية المصممة لتوجيه عمل مؤسسات "نظامه العالمي" الجديد. فقد وُضعت المبادئ الروحية والمبادئ الإدارية في مستوى واحد، وأُسبغت عليها أهمية متساوية. وعليه، ففي هذا العصر، لا يقتصر واجب المؤمنين على اتباع التعاليم

الروحية الأساسية - كالمحبة والصدق والتسامح وغيرها من الوصايا الإلهية التي تتوجه في المقام الأول إلى الأفراد في علاقاتهم مع بعضهم - بل يتحتم عليهم أيضًا الالتزام بتلك المبادئ التي تحدد دورهم داخل المجتمع البهائي، وتضبط سلوك الفرد في علاقته بمؤسسات هذا المجتمع.

لا تكمن قوة وفعالية مؤسسات النظام العالمي الناشئ لحضرة بهاء الله في أصلها الإلهي وروح الدين التي تسري فيها فحسب، بل أيضاً في التزام المؤمنين بالمبادئ الإدارية كفعلٍ من أفعال الإيمان، وطاعتهم الكاملة لأوامر حضرة بهاء الله المتعلقة بهذه المؤسسات. كما يحرص المؤمنون، أثناء أدائهم لواجباتهم الإدارية، على اليقظة التامة لمنع تسلل أي عنصرٍ دخيلٍ أو غير سليم إلى هذا النظام الإداري؛ إذ من شأن مثل هذه العناصر أن تعيق نموه، أو تضعف قواه، أو تحط من مكانته.

الانتخاب

لإيراد بعض المبادئ الإدارية، لننظر أولاً في انتخاب "المحفل الروحاني". ومع أن انتخاب المحفل الروحاني يُعدّ وظيفة إدارية، إلا أنه ينطوي على دلالة روحية عظيمة، وينبغي أن يتم في أجواء من الدعاء والتفاني. وقد أوضح "وليّ الأمر" المؤهلات التي ينبغي توفرها في أعضاء المحفل؛ لذا، فعلى الناخب عند الإدلاء بصوته أن ينظر - دون أدنى أثر للهوى أو التحيز، وبمعزل عن أي اعتبارات مادية - في أسماء أولئك الذين يجمعون على أفضل وجه بين الصفات الضرورية، وهي: الولاء المطلق، والتفاني المتجرد من الذات، والعقل المدرب جيداً، والقدرة المشهود لها، والخبرة الناضجة.[1]

في الانتخابات البهائية، لا مكان للدعاية الانتخابية أو السعي لاستمالة الناخبين؛ فمثل هذه الممارسات تتنافى مع روح "أمر حضرة بهاء الله" وهي محظورةٌ صراحةً. إذ يتمتع الناخبون بحرية الاختيار، وتجري الانتخابات عبر الاقتراع السري. ولا يليق بشخصين - حتى وإن كانا زوج وزوجة - التشاور فيما بينهما أو التأثير على خيارات بعضهما البعض. إن هذه المبادئ الإدارية تُعد مقدسةً لدى البهائي، ومخالفتها تعادل في جوهرها مخالفةً لمبدأ روحي.

سلطة المؤسسات

ثمة مبدأ إداري هام آخر، وهو قبول قرارات "المحفل الروحاني" حتى وإن ثبت لاحقاً أن تلك القرارات كانت خاطئة. فالمحافل الروحانية ليست هيئات معصومة من الخطأ، ولكن إذا ما دعم أعضاء المحفل - بغض النظر عن آرائهم الشخصية - قراراته بكل إخلاص وتفانٍ، فإن الحقيقة ستتجلى، وسيتسنى للمحفل تصحيح قراره السابق. فنمط "النظام الإداري" مصمم بحيث يمكن معه تصويب أي قرار خاطئ. ترتبط المحافل المحلية بالمحافل المركزية، وهذه بدورها مرتبطة بـ "بيت العدل الأعظم". وبحكم نطاق ولايته الأوسع وسلطته على المحافل المحلية الواقعة ضمن نطاقها، يكون المحفل المركزي في وضع أفضل يتيح له لفت نظر المحفل المحلي إلى قرارٍ يراه خاطئاً، وطلب إعادة النظر فيه. وإذا دعت الحاجة، يمكن لـ "بيت العدل الأعظم" - في نهاية المطاف - أن يصدر قراره النهائي الذي لا يأتيه الخطأ بشأن هذه المسألة.

إن السلطة التي منحها كل من حضرة بهاء الله، وحضرة عبد البهاء، وحضرة شوقي أفندي للمحافل المحلية والمركزية هي سلطة واضحة لا تقبل الجدل. وقد أُمر المؤمنون بطاعة قرارات محفلهم؛ ولا يجوز لهم مخالفتها بحجة أن القرار قد يكون خاطئاً.

وقد أوضح حضرة شوقي أفندي سلطة المحفل المركزي بعباراته التالية:

أود أن أؤكد مجددًا، بعبارات واضحة وقاطعة، المبدأ الذي سبق إعلانه بشأن السلطة العليا للمحفل المركزي في كل ما يمس مصالح الدين... فلا يمكن أن يكون هناك تعارض في السلطة، ولا ازدواجية بأي شكل من الأشكال أو تحت أي ظرف من الظروف، في أي مجال من مجالات الاختصاص البهائي، سواء كان ذلك على المستوى المحلي أو الوطني أو الدولي. ومع أن المحفل المركزي هو المفسر الوحيد لوثيقة تأسيسه ونظامه الداخلي، إلا أنه يتحمل مسؤولية مباشرة وأخلاقية إذا سمح لأي هيئة أو مؤسسة تقع ضمن نطاق اختصاصه بإساءة استخدام امتيازاتها، أو التقاعس عن ممارسة حقوقها وصلاحياتها. فهو الحارس الأمين والمصدر الرئيس لمختلف الأنشطة والمصالح التي تخص كل مجتمع وطني في العالم البهائي؛ وهو يمثل الرابط الوحيد الذي يربط هذه المجتمعات ببيت العدل الأعظم، الهيئة الإدارية العليا في دور بهاء الله.[22]

وعلى الرغم من أن المحفل الروحاني مُنح السلطة للتعامل مع المسائل التي تقع ضمن نطاق اختصاصه، ومُكّن من تنفيذ قراراته كلما استدعى الموقف ذلك، ورغم أن أعضاءه ليسوا مسؤولين عن تصرفاتهم أمام من انتخبوهم، إلا أن المحفل ليس مؤسسة يتمتع أعضاؤها بسلطات ديكتاتورية. بل على العكس من ذلك، ينبغي معالجة كل مسألة تُطرح في اجتماعات المحفل بروح من التشاور القائم على المحبة، والعناية، والعدالة.

مسؤولية الأعضاء

لقد وصف حضرة "وليّ الأمر" موقف أعضاء "المحفل الروحاني" ومسؤولياتهم بالكلمات التالية:

إنّ وظيفتهم - أي أعضاء المحفل - ليست الإملاء، بل التشاور؛ ولا يقتصر هذا التشاور عليهم فيما بينهم فحسب، بل ينبغي أن يشمل، قدر الإمكان، "الأحباء" الذين يمثلونهم. وعليهم ألا ينظروا إلى أنفسهم، إلا بوصفهم أدواتٍ مختارةً لتقديم "أمر الله" بصورةٍ أكثر كفاءةً ووقار. ولا ينبغي لهم أبداً أن يظنوا أنهم يمثلون الركائز المركزية في كيان هذا "الأمر"، أو أنهم يتفوقون جوهرياً على الآخرين من حيث القدرة أو الاستحقاق، أو أنهم وحدهم القائمون على تعزيز تعاليمه ومبادئه. ينبغي عليهم أن يضطلعوا بمهامهم بمنتهى التواضع، وأن يسعوا - من خلال انفتاح فكرهم، وشعورهم العميق بالعدالة والواجب، وصراحتهم، وتواضعهم، وتفانيهم الكامل في سبيل رفاهية ومصالح "الأحباء" (أفراد المجتمع) والقضية والإنسانية جمعاء - ليس فقط لكسب ثقة ودعم واحترام من يخدمونهم، بل لنيل تقديرهم ومودتهم الصادقة أيضاً. وعليهم في كل الأوقات تجنب نزعة الانغلاق أو أجواء السرية، والتحرر من أي سلوك

تسلطي، ونبذ كافة أشكال التحيز والأهواء الشخصية في مداولاتهم. كما ينبغي عليهم، إشراك "الأحباء" في ثقتهم، واطلاعهم على خططهم، ومشاركتهم همومهم وتحدياتهم، وطلب مشورتهم وآرائهم في إطار من الحكمة والتقدير السليم. وعندما يُدعون لاتخاذ قرار ما، فعليهم - بعد إجراء مشاورات تتسم بالتجرد والاهتمام الصادق والمودة - التوجه إلى الله بالدعاء، ثم الإدلاء بأصواتهم بكل جدية وقناعة وشجاعة، والالتزام برأي الأغلبية؛ ذلك الرأي الذي أخبرنا "مولانا" بأنه يمثل صوت الحقيقة، الذي لا ينبغي الطعن فيه، بل يجب تنفيذه بكل إخلاص وتفانٍ. وعلى "الأحباء" أن يستجيبوا لهذا الصوت عن طيب خاطر، وأن يعتبروه الوسيلة الوحيدة الكفيلة بضمان حماية الأمر المبارك وتعزيز مسيرته.[23]

في حين يسهل تقبُّل قرارٍ ما، والامتثال له إذا كان المرء يتفق معه، فإنَّ الأمر لا يكون كذلك دائمًا حين يختلف المرء معه ويراه قرارًا خاطئًا، لا سيما إذا كان الأمر يتعلق بقضيةٍ هو طرفٌ فيها. ويُعدُّ هذا أحد الاختبارات التي تواجه المؤمنين في هذا العصر، وهو في جوهره معركةٌ روحيةٌ يتعين على الكثيرين خوضها لاكتساب سماتٍ روحية، والتقرُّب من حضرة بهاء الله، والتحرُّر من التعلق بأمور الدنيا.

التجرُّد

غالبًا ما يكون التعلق بهذا العالم هو ما يحجب الرؤية، ويجعل الفرد يتسم بالكبرياء والغطرسة وتمركز الذات. أما طاعة حضرة بهاء الله، والتحلي بالتواضع، والانقياد للمؤسسات، فستجلب على النفس في نهاية المطاف بركاتٍ لا تُقدَّر بثمنٍ.

غالبًا ما يُساء فهم مفهوم «التعلق بالدنيا» على أنه يعني امتلاك المتاع الدنيوي. يوضح بهاء الله لأتباعه قائلاً: «إذا أراد المرء أن يتزين بزينة الأرض، أو يرتدي ملابسها، أو ينتفع بما تجود به من خيرات، فلا ضير عليه في ذلك، شريطة ألا يسمح لأي شيءٍ كان، بأن يحول بينه وبين الله؛ فقد قدّر الله كل خيرٍ - سواءٌ خُلِق في السماوات أو في الأرض - لعباده الذين يؤمنون به حق الإيمان».[24]

ثمة قصةٌ في التراث الفارسي تُلقي الضوء على طبيعة "التجرّد" عن هذا العالم ومعناه؛ وهي قصة ملكٍ ودرويش. كان الملك يتحلى بالعديد من الصفات الروحية، لكنه كان يضمر في قلبه غبطةً تجاه ذلك الدرويش الذي بدا وكأنه لا يربطه بهذا العالم أيُّ رابط؛ فكل ما كان يملكه الدرويش، هو سلةٌ يحمل فيها طعامه، وكان يقضي وقته متجولاً في أرجاء المدينة، يلهج بذكر ربه وتسبيحه، ويعيش معه في حالةٍ من المناجاة الروحية. لم يكن لديه بيتٌ ولا مقتنيات، ومع ذلك كان يرى نفسه غنياً لدرجة أنه يملك العالم بأسره. أُعجب الملك بهذا النمط من الحياة، فدعا الدرويش إلى قصره ليتعلم منه دروساً في التجرّد. لبّى الدرويش الدعوة ومكث في القصر فترةً من الزمن، ثم قرر الملك في نهاية المطاف التخلي عن عرشه ليحيا حياة الدراويش؛ فارتدى ملابس بالية، وتنكر في زيّ رجلٍ فقير، وغادر قصره برفقة ضيفه. وبينما كانا يسيران معاً، أدرك الدرويش أنه ترك في القصر سلّته، فطلب من الملك العودة لإحضارها. كانت هذه الواقعة بمثابة اختبارٍ كشف عن تعلّق الدرويش بهذا العالم؛ فبينما كان

الملك قد ترك وراءه قصوره وكنوزه وسلك طريق التجرّد، تبيّن أن الدرويش - الذي قضى حياته واعظاً بفضيلة التجرّد هذه - كان في حقيقة الأمر متعلّقاً بسلّته الصغيرة.

التعلّق هو حالة ذهنية، لا يرتبط بالضرورة بالثراء. فالفخر الذي قد يشعر به المرء بفضل علمه ومعرفته، أو إنجازاته في هذه الحياة، أو مكانته في المجتمع، أو شهرته وذيوع صيته، أو حبّه لذاته وممتلكاته الدنيوية؛ كل ذلك قد يتحول إلى حواجز تفصل بين الروح وبين الله.

الوحدة

ثمة مبدأ آخر يؤدي دوراً جوهرياً في حسن سير عمل "المحفل الروحاني"، وهو وحدة أعضائه. ولا ينبغي فهم الوحدة على أنها تطابقٌ تام أو تبنّي للآراء والأفكار ذاتها أثناء التشاور؛ بل على العكس من ذلك، وكما أوضح "حضرة عبد البهاء": "إنّ شرارة الحقيقة لا تظهر إلا بعد تصادم الآراء المختلفة". والمقصود بالوحدة هنا، هو رابطة روحية تجمع الأعضاء ببعضهم البعض، وتستمدّ قوة تماسكها من "حضرة بهاء الله". ويكمن مفتاح تحقيق هذه الوحدة في محبة الأعضاء الآخرين بمحبة الله، لا لذواتهم، وفي التركيز على كمالاتهم بدلاً من نقائصهم. أما تفضيل المرء لنفسه على بقية الأعضاء، أو الحط من شأن آرائهم - مهما بدت غير ناضجة أو قاصرة - فهو أمرٌ يتنافى مع روح تعاليم حضرة بهاء الله، ويُعدّ دليلاً على عدم النضج والأنانية لدى الشخص المعني.

العدل والمحبة

عندما يُحرم القلب من الإيمان والاعتقاد بالله، يميل الفرد إلى الانقياد لطبيعته الحيوانية. وحينئذٍ، وبدلاً من النظر إلى الآخرين بعين الشفقة، ينظر إليهم بعين المحاسبة، فيرصد عيوبهم ويُصدر الأحكام عليهم. ومن ناحية أخرى، فإن مؤسسات النظم القديمة - التي يُفترض أن وظيفتها الأساسية هي الحفاظ على القانون والنظام والسلم داخل المجتمع - تميل أكثر فأكثر نحو التساهل والعفو والشفقة، بدلاً من الحزم والعدالة والإنصاف.

يهدف دين حضرة بهاء الله، من خلال تأثيره الفعّال في قلوب البشر، إلى تغيير هذا النمط السائد في المجتمع الإنساني. فهو يُعلّم الفرد ألا يحكم على الآخرين أو ينظر إليهم بعين النقد؛ ويؤكد بوضوح أن علاقة الفرد بغيره يجب أن تقوم على المحبة والشفقة، وأن التسامح وغض الطرف عن زلات الآخرين، يُعدّان فضيلةً محمودةً على المستوى الفردي. ومع ذلك، فهو يبيّن أن الأساس الذي تُقام عليه "المحافل الروحانية" - وهي المؤسسات التي ستتطور مع مرور الوقت لتصبح "بيوت عدل" - ليس هو التسامح، بل العدالة.

فيما يلي مقتطف من رسالة كُتبت نيابةً عن "وليّ أمر الله" حضرة (شوقي أفندي):

«إنه، كـ "المولى" (حضرة عبد البهاء) من قبله، يتوق بشدة لرؤية المؤمنين متحدين في خدمة العقيدة. فلو تجلّت المحبة الحقيقية بين الأحباء - تلك المحبة القائمة على حب الله - لانتشر الأمر المبارك (الدين) بسرعة فائقة. فالمحبة هي المعيار الذي ينبغي أن يحكم سلوك المؤمن تجاه أخيه المؤمن. ولا يُغيّر "النظام الإداري" من هذا الأمر شيئاً؛ لكن المؤسف أن

الأحباء يخلطون أحياناً بين الأمرين، فيحاولون أن يعاملوا بعضهم البعض كما لو كانوا "محفلاً روحياً" - بما يتطلبه ذلك من انضباط وعدالة وحيادية - بدلاً من أن يكونوا فيما بينهم، كأفراد، متسامحين ومحبين وصبورين.»[27]

دعم قرارات المحافل

هناك مبدأ آخر يحمي مؤسسات الدين من شرٍّ متجذرٍ بعمق في نسيج المجتمع المعاصر، يتمثل في توجيهٍ من "عبد البهاء" ينهى فيه المؤمنين عن "الاعتراض على قرارات المحفل الروحاني أو انتقادها، سواء داخل الاجتماعات أو خارجها".[28] ففي عالمٍ يعاني الكثير من الاضطرابات والقلاقل، حيث يرفع الأفراد - من مختلف مشارب الحياة - أصواتهم احتجاجاً على تصرفات السلطات، سواء كانت دينية أو سياسية، بل ويلجئون أحياناً إلى العنف لفرض آرائهم عليها؛ يظل أتباع "بهاء الله" بمنأى عن النزاعات العبثية، والأهواء العابرة، والجدال والتعقيدات التي تحيط بهم في ظل النظم القديمة. ذلك أنهم مفعمون بروح دين "بهاء الله"، مما يدفعهم إلى الامتثال لهذا التوجيه الصادر عن "عبد البهاء" بمنتهى الإخلاص. وعليه، فإن البهائي الحقيقي لا ينتقد قرارات المحفل الروحاني ولا يعترض عليها، سواء بالقول أو بالموقف. بل إن عضو المحفل الروحاني، الذي لا يتقبّل بصدقٍ تامٍ قرارَ الأغلبية في المحفل، يُعدّ في الواقع مخالفاً لأمرٍ روحانيٍّ في "أمر الله". ومع ذلك، لا يُحرم الفرد من حقه في طرح آرائه الشخصية عبر القنوات المعتمدة، أو في التظلّم ضد قرارٍ اتخذه المحفل، إذا لم يكن راضياً عنه. فالمؤمن يتمتع بفرصٍ وافرة لطرح أي مسألة أمام المحفل الروحاني، سواء بشكلٍ شخصي أو من خلال التشاور مع المجتمع في "لقاء التسعة عشر يوماً"؛ كما يحق له استئناف قرارات المحفل المحلي أمام "المحفل الروحاني المركزي"، أو استئناف قرارات هذا الأخير أمام "بيت العدل الأعظم". غير أنه، في غضون ذلك، يظل الفرد ملتزماً بقبول قرار المحفل إلى حين صدور نتيجة الاستئناف. إن الطعن في سلطة المحفل - في أي وقتٍ، ولأي سببٍ كان - يُعدّ انتهاكاً لمبدأٍ روحانيٍّ آخر من المبادئ الراسخة في "أمر الله".

فضل الخدمة في المحفل

تُعدّ الخدمة في المحفل الروحاني، فضلاً عظيماً منحه حضرة بهاء الله لأحبائه. فهي لا تمنح العضو امتيازاً فريداً بالمشاركة في إرساء دعائم نظامه العالمي فحسب، بل تتيح له أيضاً فرصةً لتهذيب شخصيته واكتساب سماتٍ روحية؛ وذلك من خلال المعارك الروحية التي يخوضها المرء في سبيل كبح جماح النفس والأهواء أثناء جلسات التشاور البهائية.

لنستحضر مجدداً تشبيه القناة التي تحتوي على لبنات تسع؛ فبفعل تدفق المياه عبرها، تفقد هذه اللبنات مع مرور الوقت خشونتَها وحوافَّها الحادة. وبالمثل، تظهر عيوب الفرد ونقاط ضعفه خلال اجتماعات المحفل، حيث تجد نفسها في مواجهةٍ مع القوى المتدفقة لروح الأمر البهائي. ومن خلال هذا التفاعل، تتضاءل تدريجياً مظاهر الجهل والتحيز وغيرها من النقائص البشرية، ليحل محلها قدرٌ أكبر من النضج والحكمة.

التوازن بين الشكل والروح

تنطوي عضوية المحفل الروحاني على مسؤوليات جسيمة. ومن أهم المسؤوليات الملقاة على عاتق أعضاء المحفل، ضمانُ تسيير شؤونه وفقاً للمبادئ الروحانية والإدارية التي أوجدتها الشخصيات المركزية في الدين، لا وفقاً لنظرياتٍ مستمدةٍ من العالم الخارجي وضعها البشر.

يتألف النظام الإداري لحضرة بهاء الله من شقين: الشكل والروح؛ والعلاقة بينهما تشبه العلاقة بين الجسد والروح. ومع أن الروح هي الجوهر، إلا أن هذا لا يعني إهمال الجسد؛ إذ من الضروري الحفاظ على التوازن بينهما. ومن الجوانب الجوهرية في "شكل" النظام الإداري - الذي ينبغي للمحافل الروحانية تطويره بأساليبها الخاصة - إرساءُ نظامٍ إداريٍ يقوم على الكفاءة والترتيب. بيد أن الإجراءات والنظم الإدارية لا ينبغي أن تُعدّ إلا وسيلةً لبلوغ غايةٍ أسمى، فهي ليست الغاية في حد ذاتها؛ فالغاية الحقيقية هي سريان روح "الأمر" عبر المؤسسات الناشئة لنظام حضرة بهاء الله العالمي.

أما الخشونة التي تعتري أسطح الطوب - والتي ترمز إلى الإخفاقات والنقائص البشرية - فسوف تزول تدريجياً بفعل قوة المياه المتدفقة عبرها.

تقع على عاتق كلِّ عضوٍ من أعضاء المحفل مسؤوليةُ الحذرِ من السعيِ نحو إكمالِ الآليةِ الإداريةِ على حسابِ فقدانِ الرُّوح؛ إذ قد يؤدّي ذلك - مع مرور الوقت - إلى تحوُّلِ المحفلِ إلى كيانٍ جامدٍ، يتسمُ بالكفاءةِ الإداريةِ، لكنّه يغدو أسيرًا للقواعدِ واللوائح، فيصبحُ منظَّمًا للغايةِ، غيرَ أنّه يفتقرُ إلى روحِ المحبّةِ والتعاونِ التي تُعدُّ السماتِ المميّزةَ للنظامِ العالميِّ الجديد.

مؤسسة "أيادي أمر الله" و "المستشارين"

مع تطور النظام الإداري الذي وضعه حضرة بهاء الله، بدأت تظهر تدريجياً بعض سماته الفريدة، واتضحت مع مرور الوقت ملامح نمو مؤسساته. ومن هذه السمات، الطريقة التي يُصان بها الأداء السليم للمحافل الروحانية - سواء على المستوى المحلي أو المركزي -. ولا تقع هذه المسؤولية على عاتق أعضاء المحافل المحلية والمركزية فحسب، بل تشمل أيضاً مؤسسةً تؤدي دوراً هاماً وتُعد جزءاً حيوياً من النظام الإداري، ألا وهي مؤسسة "أيادي أمر الله."

لقد نشأت هذه المؤسسة - أي هيئات المستشارين - عن طريق التعيين لا الانتخاب؛ وهي تواصل في المستقبل اثنتين من وظائف "أيادي أمر الله"، وهما: حماية الدين ونشر تعاليمه. أما السلطة والصلاحية، فهي مناطة حصرًا بالمحافل الروحانية المحلية والمركزية، التي يُعهد إليها بتدبير شؤون "الأمر" في نطاق اختصاصها. فالمستشارون ليسوا إداريين، وبالتالي فإن دورهم لا يتمثل في إدارة شؤون الدين؛ بل يكمن دورهم - من خلال تقديم المشورة والنصح للمحافل المركزية، وتوفير الرعاية والمساعدة المفعمة بالمحبة للمحافل المحلية (بالتعاون مع أعضاء هيئاتهم)، وإلهام المؤمنين وتشجيعهم على الاضطلاع بمسؤولياتهم الإدارية - في أداء دورٍ جوهريٍ لحماية الدين، وضمان حسن سير مؤسسات "النظام العالمي" لبهاء الله في طور نشأتها.

قبل أن يقوم حضرة شوقي أفندي في عام 1951 بتعيين أول مجموعة من "أيادي أمر الله" - وهم أفرادٌ أحياءٌ يحملون هذا اللقب لأول مرة منذ عهد حضرة بهاء الله - كانت المحافل الروحية هي الهيئات الوحيدة التي تتولى إدارة الشؤون المتعددة للجالية. ولكن مع نشأة هذا "الذراع الثاني" - الذي تعزز لاحقاً بتعيين "هيئات المستشارين القارية" من قِبل بيت العدل الأعظم - طرأ تغيير جوهري على الكيفية التي تؤدي بها المحافل الروحية مسؤولياتها. لقد ولّى الزمن الذي كانت فيه المحافل الروحية تضطلع بالتزاماتها بمفردها؛ فاليوم، لا يمكن لأي محفل روحاني - سواء كان محلياً أو مركزيًا - أن يؤدي مهامه على الوجه الأكمل، ما لم يدمج في أنشطته، وبشكل كامل، مساعدةَ هذا الذراع الثاني من النظام الإداري. فهذا الذراع يؤدي دوراً حيوياً في ضمان الأداء السليم للمحافل الروحية المحلية والمركزية، فضلاً عن تعزيز السلامة الروحية للجالية البهائية.

يعمل ذراعا النظام الإداري بشكل مستقل، ولا يتدخل أحدهما في عمل الآخر أثناء أدائهما لمهامهما؛ ويشبه ذلك ذراعي جسم الإنسان، حيث يتحرك كل ذراعٍ باستقلالية؛ فالذراع اليمنى لا تتحكم في حركة الذراع اليسرى، والعكس صحيح. ومع أنهما تعملان بشكل منفصل، إلا أنهما تتضافران معاً عند الحاجة لرفع ثقلٍ ما. ومع ذلك، قد تؤدي كل مؤسسة من هاتين المؤسستين بعض المهام بشكل مستقل تماماً عن الأخرى؛ ففي المثال المذكور آنفاً، إذا كانت إحدى اليدين تكتب، فلا ينبغي لليد الأخرى أن تتدخل للمساعدة، فلو حدث ذلك، لكان ذلك تدخلاً غير ملائم.

وفي المرحلة الراهنة من تطور النظام الإداري، تتشاور الهيئات القارية للمستشارين وتتعاون مع المحافل الروحانية المركزية، بينما يتشاور أعضاء الهيئات المعاونة ومساعدوهم مع المحافل الروحانية المحلية. ويُشكّل المستشارون وأعضاء هيئاتهم المعاونة ومساعدوهم ذراعاً واحداً من ذراعي النظام الإداري، بينما تُمثّل المحافل الروحانية المركزية ولجانها الذراع الآخر. وحين تتعاون هاتان المؤسستان في بلدٍ ما وتدعم إحداهما الأخرى بروحٍ من الوحدة، تنطلق طاقاتٌ عظيمة في المجتمع، مما يؤدي بدوره إلى تعزيز أسس مؤسسات الدين وتسريع وتيرة تقدمه في ذلك الإقليم.

العمل السليم للمحافل الروحية

تنمو مؤسسات المحافل الروحية المحلية والمركزية وتتطور، كما ينمو أي كائن حي نموًا طبيعيًا. فهذه المؤسسات الإلهية تمر بعملية نضج تستمر طويلًا خلال العصر التكويني للدين. إلا أن المحافل الروحية حاليًا لا تزال في مراحلها الأولى، وبالتالي لا يُتوقع منها أن تعمل كهيئات ناضجة. فرغم أن أعضاء المحفل الروحي قد يكونون بهائيين ناضجين ومخلصين، إلا أن المؤسسة نفسها لا تزال فتية وغير ناضجة. ومن المهم الإشارة إلى وجود فرق شاسع بين المنظمات البهائية وغير البهائية. فهناك العديد من المؤسسات في العالم التي تعمل بكفاءة عالية كالآلات، ولكنها تفتقر إلى الروحانية. وعلى النقيض من ذلك، فإن المحافل الروحية البهائية، على الرغم من أنها غير ناضجة في الوقت الحاضر، إلا أنها تنبض بالحياة، ومليئة بالروح، ولديها وعد بالمستقبل عندما يكون مقدراً لها أن تتطور إلى مؤسسات عظيمة تتمتع بالقدرة على توجيه شؤون المجتمع وإدارتها بأفضل طريقة ممكنة.

في هذه الأيام التي لا تزال فيها المحافل الروحانية في مهدها، يُكنّ المؤمنون لها الاحترام ويطيعونها حتى وإن كانت قراراتها خاطئة أو مشوبة بالنواقص؛ إدراكاً منهم بأن نضج هذه المؤسسات - التي أُسِّست بأمر إلهي - لن يتحقق إلا بمرور الزمن. إن هذا النهج القائم على تقدير المحافل الروحانية ودعمها يشبه إلى حد كبير الطريقة التي يعامل بها الآباءُ أبناءَهم؛ فالطفل بطبيعته قد يسبب فوضى في أرجاء المنزل، لكن الآباء يدركون أنه لا يمكن توقع تصرفاتٍ ناضجة منه كشخصٍ بالغ. لذا، فهم لا يقلقون بشأن سلوكه، لعلمهم بأنه حين يكبر، سيتخلى عن تصرفاته الطفولية ويصبح مسؤولاً في سلوكه.

ومع أن المحافل الروحانية - في هذه المرحلة من تطورها - لا بد أن تعاني من الضعف ونقص الخبرة، إلا أن هذا الضعف لا ينبغي أن يُتخذ ذريعةً لأعضائها كي يتغافلوا عن مسؤولياتهم الجوهرية. ففي المثال المذكور آنفاً، لا يتوقع المرء من الطفل أن يكون معصوماً من الخطأ في أفعاله، بل ينبغي أن يكون متمتعاً بالصحة والسلامة. والأمر ذاته ينطبق على المحافل الروحانية في وقتنا الراهن؛ إذ لا يُنتظر منها ألا تقع في أخطاء أثناء مداولاتها، لكن "المولى" (حضرة عبد البهاء) يحث أعضاءها على أن يحب بعضهم بعضاً من أعماق قلوبهم. وبالطبع، من السهل أن تحب شخصاً تميل إليه، لكن التحدي الحقيقي يكمن في أن تحب أولئك الذين تجد صعوبة في العمل معهم.

وفي نهاية المطاف، تعتمد قوة أي "محفل" وحيويته على أعضائه؛ فمن خلال إخلاصهم وتفانيهم في خدمة "الدين"، تتجسد المُثل والمبادئ السامية التي أرساها "الجمال المبارك" و"مركز عهده" في أعمال "المحفل الروحاني". إن التعمق في دراسة كتابات حضرة "شوقي أفندي" حول "الإدارة البهائية" تُمكّن الفرد من إدراك أن هدف أعضاء المحفل - في هذه المرحلة من "العصر التكويني" للدين - لا ينبغي أن ينصبّ في المقام الأول على أن يصبحوا إداريين أكفاء أو متخصصين في حل المشكلات المعقدة التي تواجه المجتمع، بل ينبغي أن يتركز سعيهم على تهيئة أجواء روحانية خلال اجتماعاتهم؛ لكي تنهال عليهم تأييدات "حضرة بهاء الله" من كل جانب، وبمعونته يتمكنوا من معالجة مشكلاتهم.

وكما ذُكر سابقاً، يتحقق ذلك من خلال رسوخ الإيمان بـ "حضرة بهاء الله" والولاء لعهده، وكبح جماح النفس (الأنا)، ونقاء الدوافع... والتحلي بالتواضع ونكران الذات في التعامل مع أحبائه... والقيام بخدمة عتبته المقدسة. هذا هو التحدي الذي يواجه "أمناء الرحمن" في هذا العصر.

بناء النظام العالمي لـ "حضرة بهاء الله"

النظام العالمي الجديد في طور التكوين

في وقتٍ تجتاح فيه قوى التدمير وجه الأرض، وتُغرق الجنس البشري بأسره في حالة من الفوضى والاضطراب، وتقتلع مؤسساته العريقة، تنكبُّ جماعةٌ - صغيرةٌ نسبيّاً - تُعرف بـ "أهل الاسم الأعظم" - وتضم رجالاً ونساءً من شتى مناحي الحياة، صغاراً وكباراً، أغنياء وفقراء، متعلمين وأميين - على إرساء دعائم مؤسساتٍ جديدةٍ تشمل الكوكب بأسره. وقد صُممت هذه المؤسسات لتتطور - مع مرور الوقت - إلى "نظامٍ عالميٍّ جديدٍ" يُقام باسم

حضرة بهاء الله. وهذا النظام العالمي - الذي قُدِّر له أن يظهر في المستقبل بكامل مجده، والذي سيُشكّل قيامُه إيذاناً بظهور "الكومنولث البهائي"، ورفع راية "السلام الأعظم"، وبزوغ "ملكوت الله" على الأرض - ينمو اليوم في طوره الجنيني، ويُشار إليه بـ "النظام الإداري". وهذا النظام الإداري في تطورٍ منهجيٍّ مستمرٍ داخل المجتمع البهائي منذ بدء "العصر التكويني".

المواثيق الأربعة

لقد ترك حضرة عبد البهاء للأجيال القادمة "وصيته"، التي يمكن اعتبارها ثمرة "العهد" و"ميثاق النظام العالمي الجديد". ففيها رسم ملامح "النظام الإداري"، ووضع مبادئه، وحدد وظائفه، ودعا البهائيين إلى الشروع في تأسيس هيئاته. وهناك مجموعة أخرى هامة من الألواح، يبلغ عددها 14 لوحاً، وجهها حضرة عبد البهاء إلى المؤمنين في أمريكا - وتُعرف بـ "ألواح الخطة الإلهية" - وهي تؤدي دوراً جوهرياً في نشر الدين بين جميع أمم العالم وشعوبه، وتُعد بمثابة "ميثاق لنشر الدين" في شتى بقاع الأرض. ففي هذه الألواح، يحث حضرة عبد البهاء البهائيين على التحرر من التعلق بالأمور الدنيوية، وتطهير نفوسهم من شوائب هذا العالم، والنهوض بروحٍ مفعمة بالمحبة والوحدة، والارتحال إلى كل ركن من أركان المعمورة من أجل إعلاء "أمر الله". كما يحدد في هذه الألواح 120 بلداً وإقليماً وجزيرة، ينبغي للمبلغين البهائيين التوجه إليها لنشر رسالة حضرة بهاء الله وتأسيس دينه.

وتُشكّل هاتان الوثيقتان - إلى جانب "الكتاب الأقدس" (أقدس كتب حضرة بهاء الله، والذي يُعدّ "ميثاقاً للحضارة العالمية المستقبلية")، و"لوح الكرمل" (الذي أنزّله حضرة بهاء الله بالقرب من مغارة النبي إيليا، ويُعتبر ميثاقاً لبناء المركز العالمي للدين) - الأدواتِ الرئيسيةَ التي تُرشد المؤسسات البهائية، وتُلهم المؤمنين في سعيهم المشترك لبناء نظامٍ عالميٍّ جديدٍ للبشرية.

حضرة شوقي أفندي: مشيّد النظام الإداري

كان حضرة شوقي أفندي هو من وضع أسس النظام الإداري وأنشأ مؤسساته. في البداية، ركّز جهوده على تعليم المؤمنين كيفية تأسيس "المحافل الروحانية المحلية" وآليات العمل من خلالها. وعلى مدى 15 عاماً على الأقل، كرّس وقته للمهمة الشاقة المتمثلة في تعليم البهائيين مبادئ الإدارة البهائية؛ إذ أوضح وظائف المؤسسات المحلية والمركزية ونطاق عملها والغاية النهائية منها. لقد صاغ النظام الإداري من خلال إرساء قواعد المحافل الروحانية المحلية على أساسٍ متين، ثم شيّد فوقها المحافل الروحانية المركزية، التي تشكّل اليوم الركيزة والدعامة للصرح العظيم المتمثل في "بيت العدل الأعظم" الذي أسسه حضرة بهاء الله.

في الوقت الذي انتقل فيه حضرة "المولى" (عبد البهاء) إلى الرفيق الأعلى، كان لدى المؤمنين أفكارٌ بدائيةٌ نوعاً ما حول العقيدة، ولم يكونوا قد بلغوا النضج الكافي؛ إذ لم يكن لديهم إدراكٌ وافٍ لمفهوم الحياة المجتمعية. وقد تولى حضرة شوقي أفندي - من خلال ترجماته البليغة لكتابات حضرة بهاء الله وحضرة عبد البهاء، ومؤلفاته الشخصية الفذة، وتوجيهاته وإدارته لشؤون المحافل المحلية والمركزية في جميع أنحاء العالم، وعِبر تشجيعه المستمر

ومثابرته على مدى أكثر من ثلاثة عقود - كشفَ معالم عقيدة حضرة بهاء الله أمام أعينهم بصبرٍ وفعالية. لقد وضع كل ما تنطوي عليه هذه العقيدة في نصابها الصحيح؛ فمؤسسوها، وقوانينها، وأحكامها، وتعاليمها، ومبادئها، ومؤسساتها، وُضعت جميعاً في مواقعها المناسبة - كقطعٍ في أحجيةٍ متكاملة -. وبذلك، مكّن المؤمنين من اكتساب مفهومٍ جديدٍ للحياة المجتمعية، وللوحدة والتضامن.

في "العصر البطولي" للدين، كان المؤمنون منجذبين إلى حضرة بهاء الله لدرجة أنهم لم يولوا اهتماماً كبيراً لأي شيء آخر؛ فقد كانوا محبين له، وغارقين تماماً في نشوة محضره. ولكن، مع حلول مرحلة بناء "النظام العالمي الجديد"، وبفضل جهود حضرة شوقي أفندي وتوجيهاته، اتسعت رؤية البهائيين؛ إذ بدأوا ينظرون إلى الدين من منظور جديد، ونهض الكثيرون منهم لتأسيس هيئات إدارية محلية ومركزية في مختلف أنحاء العالم.

السنوات الخمس عشرة الأولى من فترة "ولاية الأمر"

خلال السنوات الخمس عشرة الأولى من فترة "ولاية الأمر"، تم تشكيل ما لا يقل عن ثمانية محافل روحية مركزية، ودخلت ثلاثون دولة ذات سيادة إضافية في نطاق الدين البهائي. ومن الأحداث البارزة الأخرى التي شهدتها هذه الفترة:

- وفاة "الورقة المباركة العليا" (شقيقة حضرة عبد البهاء) عام 1932.
- الاعتراف بالوضع المستقل للدين البهائي في مصر.
- الاستيلاء على بيت حضرة بهاء الله في بغداد، مما دفع المجتمع البهائي إلى تقديم التماس إلى "عصبة الأمم"، التي أصدرت قراراً يؤيد أحقية المجتمع البهائي في ذلك البيت.
- إنجازات مارثا روت في مجال نشر الدعوة، والتي توِّجت بإشادة الملكة ماري، ملكة رومانيا، بعظمة رسالة حضرة بهاء الله وعبارات محبتها لتعاليمه.
- تأسيس المكتب البهائي الدولي في جنيف عام 1925.
- تطبيق توجيهات حضرة بهاء الله المتعلقة بإقامة "ضيافة التسعة عشر يوماً".
- توسع الأنشطة الشبابية المنظمة وتعددها.
- زيادة الأوقاف والممتلكات البهائية في الأراضي المقدسة، والولايات المتحدة، وإيران.
- اكتساب مواقع تاريخية في إيران.
- تأسيس الأرشيف البهائي الدولي.

في مهد الدين، حيث كان أتباع "الاسم الأعظم" - في تلك الفترة - لا يزالون يرزحون تحت وطأة اضطهاد السلطات، ويتعرضون لهجمات متفرقة أدت إلى استشهاد الكثير منهم، وجّه حضرة شوقي أفندي اهتمامه نحو مؤسسات الدين التي كانت قد بدأت تمارس مهامها في طول البلاد وعرضها. وقد أوكل إليها مهمةً ذات أهمية بالغة في مسيرة هذا الأمر، ألا وهي تطبيق بعض أحكام "الكتاب الأقدس"؛ ذلك الكتاب الذي يمثل "سدى ولحمة" النظام العالمي الذي جاء به حضرة بهاء الله. فطلب من المحافل الروحية في بلاد فارس، البدء بتنفيذ هذه

الأحكام داخل المجتمع البهائي؛ وهي أحكامٌ، وإن كان المؤمنون في تلك الديار على دراية بها، إلا أنها لم تكن تُطبَّق بالكامل من قبل. وخلال فترة خدمته، توسع حضرة شوقي أفندي في شرح كيفية تطبيق هذه الأحكام، وأوضح الكثير من تفاصيلها وجوانبها الدقيقة، كما حثّ المحافل الروحية على عدم التهاون مطلقاً عند تطبيقها، وأوصاهم بالتمسك بمعايير العدالة والنزاهة في جميع القضايا. وهكذا، تراكم في هذا المجال رصيدٌ وافر من المعرفة والخبرة، مما سيشكل قيمةً عظيمة في المستقبل.

الخطط التعليمية الوطنية

في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا - حيث تبلور نموذج "النظام الإداري" - نمت مؤسسات الدين وتطورت إلى حدٍّ مكّن حضرة "وليّ الأمر" (شوقي أفندي) في عام 1937 من إطلاق أول "خطة سباعية السنوات". لقد كان هذا المشروع بالغ الأهمية، إذ دشّن المرحلة الأولى من الحقبة الأولى في تنفيذ التكليف الإلهي الذي أوكله حضرة "عبد البهاء" إلى المؤمنين في أمريكا الشمالية، كما مثّل نقطة تحوّل في تاريخ النظام الإداري للدين.

وبحلول عام 1944، حين أُنجزت هذه الخطة بنجاحٍ باهرٍ "خطة السنوات السبع" تزامناً مع الاحتفالات العالمية بالذكرى المئوية لظهور الدين، كان عدد "المحافل الروحانية المحلية" في الولايات المتحدة، قد تضاعف تقريباً، كما ازداد بشكلٍ هائلٍ عددُ المواقع التي يقيم فيها البهائيون، وتأسست نواةٌ لمؤسسات الدين في كل جمهورية من جمهوريات أمريكا اللاتينية. هذا الإنجاز الهائل - إلى جانب إتمام الزخارف الخارجية لأقدس "مشرق أذكار" (دار عبادة) في العالم البهائي - لفت أنظار البهائيين في بقاعٍ أخرى من العالم إلى أهمية هذه الأحداث في الولايات المتحدة وكندا، وكشف لهم عن نهجٍ منهجيّ لتوسيع الدين وتوطيد أركانه؛ وهو نهجٌ تبلور كنتيجةٍ مباشرةٍ لهذه الخطة التاريخية الأولى التي أطلقها حضرة "وليّ أمر الله"، ونفّذها أتباع حضرة "بهاء الله" في مهد النظام الإداري للدين.

لقد أحدث هذا الانتصار المجيد للدين، موجةً عارمةً من الحماس والتفاني والثقة والاندفاع في قلوب المؤمنين في بلدانٍ أخرى؛ إذ تاقوا هم أيضاً إلى بلوغ آفاقٍ أسمى في خدمة أمر الله.

مع بلوغ كل محفل روحاني مركزي لمرحلة الجاهزية، كان "ولي أمر الله" يمنح موافقته وتشجيعه لصياغة خطط وطنية، تهدف في المقام الأول إلى زيادة عدد "المحافل الروحانية المحلية" وترسيخ مؤسساتها، بالإضافة إلى مضاعفة أعداد المراكز البهائية داخل الحدود الوطنية وخارجها. وكانت الجماعة البهائية في بريطانيا أول من توجه إلى "ولي أمر الله" لطلب خطة، فوضع لها "خطة السنوات الست" عام 1944. وتلتها خطط أخرى في غضون عامين إلى ثلاثة أعوام. وقد حُدِّدت لكل منها فترة زمنية معينة، بحيث تنتهي إما في عام 1950 - وهو الذكرى المئوية لاستشهاد "الباب" - أو في عام 1953، الذي سُمّي بـ "العام المقدس"؛ تزامناً مع الذكرى المئوية لبدء نزول الوحي على "بهاء الله" في سجن "سياه چال" بطهران.

كان في طليعة هذه الخطط "الخطة السباعية الثانية" للبهائيين في أمريكا الشمالية، والتي تمثل فترتها الزمنية المرحلة الثانية من الحقبة الأولى لـ "ألواح الخطة الإلهية". وقد تضمنت

هذه الخطة أهدافاً دولية كبرى، منها تأسيس محافل روحانية محلية في عشر دول من أوروبا الغربية، وتشكيل ثلاثة محافل روحانية مركزية في نصف الكرة الغربي، وإتمام الزخرفة الداخلية لـ "مشرق الأذكار" في الولايات المتحدة؛ وقد أُنجزت هذه الخطة بنجاح في عام 1953. ومن الخطط الأخرى: خطة السنوات الأربع والنصف في الهند (تلتها خطة مدتها 19 شهراً)، وخطة السنوات الخمس إلا ربعاً (45 شهراً) في إيران، والخطة السداسية في أستراليا، والخطة الثلاثية في العراق، والخطة الخماسية في كل من مصر وألمانيا وكندا - حيث يمكن اعتبار الخطة الكندية امتداداً للخطة السباعية الثانية لقارة أمريكا الشمالية - وأخيراً الخطة البريطانية الثانية التي امتدت لعامين، والتي تضافرت فيها جهود ستة محافل روحانية مركزية لترسيخ العقيدة في القارة الأفريقية. وقد لعبت هذه الخطة دوراً محورياً في وضع نموذج للتعاون الدولي المستقبلي والمشاريع المشتركة بين المحافل، مما مهّد الطريق لإطلاق خطط عالمية النطاق شملت أرجاء الكوكب بأسره.

إلى جانب هذه الخطط - التي أحدثت طفرة في النشاط بين جميع المجتمعات البهائية الوطنية، وألهمت العديد من المؤمنين للنهوض كروّاد والاستقرار في مدنٍ مُستهدفة أو في أقاليم لم يصل إليها الدين من قبل - شهدت تلك الفترة تطوراتٍ مهمة أخرى مهدت الطريق أمام التطور المستقبلي للنظام الإداري لحضرة بهاء الله وارتقاءه. وكان من أبرز هذه التطورات: تعيين حضرة شوقي أفندي أول مجموعة من "أيادي أمر الله" عام 1951 - وهو عددٌ سرعان ما ازداد لاحقاً -، وتشكيل "المجلس البهائي الدولي" في العام ذاته، الذي قُدِّر له أن يتطور عبر مراحل متعاقبة ليصبح "بيت العدل الأعظم"، ومشاركة مندوبين بهائيين في منظمات غير حكومية معتمدة لدى الأمم المتحدة، بالإضافة إلى النمو الهائل للدين البهائي في أفريقيا، التي كانت أول قارة تشهد دخول أعدادٍ كبيرة من الناس في هذا الدين.

لقد منحت هذه الإنجازات واسعة النطاق، إلى جانب الاختتام المظفر لجميع الخطط الوطنية، منحت "مجتمع الاسم الأعظم" إمكانات هائلة لتوسيع نطاق الدين وتوطيد أركانه على مستوى العالم. وبحلول ذلك الوقت، كانت المجتمعات الوطنية قد اكتسبت الرؤية والقدرة على المشاركة في الخطة الدولية الأولى.

خطة العشر سنوات

في عام 1953، أطلق حضرة شوقي أفندي هذه الخطة. وتُعرف باسم "الحملة العالمية العشرية"؛ وهي خطة تاريخية وصفها "ولي أمر الله" بأنها "أعظم حملة روحية شهدها العالم على الإطلاق". وتُمثّل هذه الخطة - في آنٍ واحدٍ - بدايةَ المرحلة الثالثة والأخيرة من الحقبة الأولى لـ "ألواح الخطة الإلهية"، ونقطةَ انطلاق "المجتمع البهائي الدولي"؛ إذ جمعت المحافل الروحية المركزية الاثني عشر التي كانت قائمة آنذاك في العالم البهائي، بهدف رفع راية الدين في جميع الأقاليم التي لم يطئها البهائيون بعدُ في شتى بقاع الأرض، وزيادة أعداد المحافل الروحية المحلية والمركزية في العالم، وتحقيق أهداف أخرى عديدة نصت عليها الخطة.

وعند الإعلان عن أهداف هذه الحملة الجليلة، ذُهل أتباع حضرة بهاء الله في كل مكان من ضخامة المهام الملقاة على عاتقهم. غير أنهم سرعان ما شهدوا - بمشاعر ملؤها الامتنان والرهبة والدهشة - أنه في العام الأول وحده من الخطة، فُتحت 100 منطقة جديدة أمام الدين!

إن هذا التوسع الهائل في أمر الله خلال المرحلة الأولى من الخطة - والذي ألهم جيش الرواد والمبلغين البهائيين للارتقاء إلى آفاق أسمى من البطولة والتضحية، ومكّنهم من تحقيق انتصارات إضافية للأمر وإنجاز كافة الأهداف الكبرى للخطة في السنوات اللاحقة - لا يمكن أن يُعزى إلا إلى روح الولاء والتفاني التي توجه بها "أيادي أمر الله" وأعضاء هيئاتهم، والمحافل الروحية المركزية والمحلية، والرواد والمبلغون - جميعاً بلا استثناء - نحو حضرة شوقي أفندي، وليّ أمر الله وآية الله على الأرض. غير أنه في منتصف هذه الخطة، امتدت يد القدر لتنتزعه فجأة من بينهم، تاركةً المؤمنين كالأيتام، يغمرهم الحزن ويشعرون بالعجز والوحدة.

رعاية «أيادي أمر الله»

على الرغم من وفاة حضرة شوقي أفندي - الذي لم يترك وصيةً، وذلك لحكمةٍ بالغةٍ منه - إلا أن قوة العهد أدت دورها؛ إذ التفَّ المؤمنون حول "أيادي أمر الله" - الذين وُصفوا بأنهم "كبار أمناء الكومنولث العالمي لحضرة بهاء الله في طور نشأته" - والذين تولوا حينئذٍ مسؤولية توجيه العالم البهائي. وقد أنجزوا هذه المهمة من خلال الالتزام الدقيق بتوجيهات حضرة شوقي أفندي وتعليماته الواردة في خطته المعروفة بـ "خطة العشر سنوات". ويمكن اعتبار هذه الفترة - التي امتدت لنحو خمس سنوات منذ وفاة حضرة شوقي أفندي عام 1957 وحتى انتخاب "بيت العدل الأعظم" عام 1963 - أكثر المراحل تحدياً في تاريخ "العصر التكويني" للدين البهائي. لقد كانت فترةً وُضع فيها عهد حضرة بهاء الله تحت اختبارٍ شاملٍ وصارمٍ، فأثبت أنه حصنٌ منيعٌ لا يمكن اختراقه؛ فعلى عكس "بيت العدل الأعظم"، لم يرد في وعود حضرة بهاء الله ما يشير إلى أن "أيادي أمر الله" يتمتعون بهدايةٍ معصومة. ومع ذلك، فبفضل ولائهم له وثباتهم على عهده، قادوا العالم البهائي تماماً وفقاً للمسارات التي رسمها حضرة شوقي أفندي في كتاباته، ولم يحيدوا قيد أنملة عن النهج الذي أوضحه لهم.

وعلى عكس قادة الأديان السابقة الذين أدخلوا الكثير من الأفكار البشرية في تعاليم أنبيائهم، لم يضف "أيادي أمر الله" - خلال فترة توليهم رعاية "أمر بهاء الله" - شيئاً من بنات أفكارهم إلى هذا الأمر المبارك، ولم يستحدثوا أي بدع في آليات عمل مؤسساته. فخلال فترة "الخطة" (التي بلغت ذروتها المظفرة عام 1963، حين أظهر المجتمع البهائي - بمناسبة الاحتفال باليوبيل الذهبي لإعلان بهاء الله - طابعه العالمي وقوته المتماسكة)، لم يكتفِ "أيادي الأمر" بتوجيه المؤمنين ومساندتهم فحسب، بل سلموا "أمر الله" - نقيّاً وخالصاً من أي شائبة - إلى الهيئة المنتخبة، وهي "بيت العدل الأعظم" الذي أسبغ عليه حضرة بهاء الله صفة العصمة والهداية الإلهية.

وفي تلك المرحلة، كان الدين قد تطور من مجرد بضعة مجتمعات وطنية عام 1952، ليصبح مجتمعاً عالمياً واسع النطاق منتشراً في أرجاء المعمورة؛ حيث استجابت جموع غفيرة

لدعوة حضرة بهاء الله، وأدركت مقامه، وانضمت إلى هذا الأمر بأعداد كبيرة. فبحلول عام 1952، كان الدين قد وصل إلى 128 دولة وإقليماً وجزيرة، بينما ارتفع هذا العدد إلى 259 بحلول عام 1963. وفي عام 1952، كان هناك ما يزيد قليلاً عن 600 "محفل روحاني محلي"، فارتفع هذا العدد ليصل إلى أكثر من 3400 محفل. أما في عام 1953، فكان هناك 12 "محفلاً روحانياً مركزياً" (وطنياً)، وبحلول عام 1962، تأسس 56 محفلاً مركزياً وإقليمياً، وأصبح أعضاؤها هم الهيئة الناخبة لـ "بيت العدل الأعظم". وارتفع عدد المناطق التي يقيم فيها البهائيون حول العالم من حوالي 2400 إلى أكثر من 11000 منطقة، كما زادت عدد اللغات التي تُرجمت إليها الأدبيات البهائية من 89 لغة إلى أكثر من 300 لغة. وفي كثير من الحالات، تجاوز تقدم الدين البهائي الأهداف الأصلية التي حُدِّدت له في إطار الخطة. وخلال هذه الفترة أيضاً، أُنشئ ثلاثة "مشارق الأذكار" (دور عبادة) في قارات أفريقيا وأستراليا وأوروبا، وجرى اقتناء 46 موقعاً إضافياً لتُقام عليها دور عبادة في المستقبل، بالإضافة إلى 49 موقعاً آخر لـ «حظائر قدس» في مختلف أنحاء العالم.

تطورات في المركز العالمي

في الأرض المقدسة، اكتسبت عملية بناء المركز العالمي للدين - التي انطلقت من حضرة بهاء الله عبر نزول "لوح الكرمل"، وبدأ تنفيذها على يد "مركز عهده" من خلال تشييد الضريح الأصلي لحضرة الباب - زخماً كبيراً خلال فترة خدمة حضرة شوقي أفندي؛ حتى تجلت في أواخر حياته عظمةُ جبل الكرمل التي تنبأ بها أنبياء الماضي. فقد شُيِّد بمهابةٍ، الهيكلُ العلوي لضريح حضرة الباب - ذلك الصرح الذي وُصف بأنه "ملكة الكرمل"، المتوّج بالذهب المتوهج، والمكتسي بالبياض المتلألئ، والمطوّق باللون الأخضر الزمردي - والذي كان يسحر كل عينٍ تراه من الجو أو البحر أو من السهول أو التلال. وفي جواره، أُقيمت - بما يليق بمكانتها - النصبُ التي تُميّز أماكن مثوى "الورقة المقدسة العليا"، و"الغصن الأطهر"، ووالدة حضرة عبد البهاء وزوجته؛ وهي نُصبٌ تشكّل محوراً لمجموعة من المباني المصطفة على شكل قوس، والتي تؤلف اليوم المركز الإداري العالمي للدين البهائي. كما تم تشييد أول مبنى في هذه السلسلة، وهو "مبنى الأرشيف العالمي"، الذي تُحفظ بين جدرانه أثمن الآثار المتعلقة بالشخصيات المركزية للدين. وبالإضافة إلى ذلك، أُنجزت تسعُ شرفاتٍ تربط مدينة حيفا بضريح حضرة الباب، وجرى تطوير وتزيين الحدائق المحيطة بالضريح والمباني المجاورة له. كما تم الاستحواذ على الأوقاف العالمية للدين، الممتدة من سفح جبل الكرمل حتى قمته، على مساحة تزيد عن 350,000 متر مربع. وتمّ أخيراً، وبعد مفاوضات شاقة وطويلة، شراء قطعة أرض تبلغ مساحتها حوالي 36,000 متر مربع، وذلك بهدف تشييد "مشرق أذكار" على جبل الكرمل؛ في موقعٍ يقع "على مقربةٍ من البقعة التي تشرّفت بخطوات حضرة بهاء الله، وبالقرب من كهف النبي إيليا العريق، وهي البقعة المرتبطة بنزول 'لوح الكرمل' - ذلك اللوح الذي يُعدّ ميثاقاً للمراكز الروحية والإدارية العالمية للدين البهائي على ذلك الجبل".

في "البهجة"، وهي أقدس بقعة في العالم البهائي، أُنشئت حدائق غنّاء حول ضريح حضرة بهاء الله ضمن مساحة تبلغ قرابة 160 ألف متر مربع. وفي هذه الحدائق - حيث سيُشيد

مستقبلاً ضريحٌ مهيبٌ فوق مرقد حضرة بهاء الله - تم إعداد حرمٍ خارجي (يُعرف بـ "الحرم الأقدس") صُمم ليحيط بهذا الصرح المقدس.

إن تحقيق مثل هذه الإنجازات العظيمة في الأرض المقدسة خلال السنوات الأولى من "العصر التكويني" للدين البهائي، إلى جانب وضع المخطط التفصيلي لبناء "المركز العالمي" للدين - مما رسم معالم تطوره المستقبلي - سيظل يُعدّ دائماً من أسمى الثمار المرتبطة بفترة خدمة حضرة شوقي أفندي.

بيتُ العدلِ الأعظم

إنَّ الاختتامَ المظفَّرَ «للخطة العشريّةِ»، وما صاحبَهُ من انتهاءِ الفترةِ الانتقاليّةِ التي تولّى فيها «أيادي أمرِ الله» مهامَّ الوصايةِ، يُمثِّلُ - من ناحيةٍ - طَيَّ صفحةِ حقبةٍ من «العصرِ التكوينيّ»، ويُؤذِنُ - من ناحيةٍ أخرى - بدءِ حقبةٍ جديدةٍ مع تأسيسِ «بيتِ العدلِ الأعظم». وهو مؤسَّسةٌ ذاتُ أصلٍ إلهيّ، ومشمولةٌ بالتسديدِ المعصومِ من قِبَلِ حضرة بهاء الله وحضرة الباب؛ وقد بشَّرَ «جمالُ القِدَمُ» بتأسيسِها في «لوحِ الكرمل» مُشبِّهاً إيّاها بـ «سفينةِ الله»، كما حدَّدَ وظائفَها بوضوحٍ في ألواحٍ عديدةٍ. وقد وصفَها حضرة «عبد البهاء» بأنّها «معدنُ كلِّ خيرٍ والمصونةُ عن الخطأ»، بينما أشارَ إليها «وليُّ أمرِ الله» بوصفِها «ذروةَ النّظمِ الإداريّ البهائيّ»، و «الهيئةَ العليا للكومنولث البهائيّ»، و «الملاذَ الأخيرَ لحضارةٍ تتهاوى».[42]

وفي عباراتٍ بالغةِ الوضوحِ والتأكيدِ، يُثبِّتُ حضرة «عبد البهاء» - في النصِّ التالي - سلطةَ «بيتِ العدلِ الأعظم» قائلاً:

«يجبُ على الجميعِ الرجوعُ إلى الكتابِ الأقدس، وما لم يُنصَّ فيه صراحةً، فيجبُ الرجوعُ بشأنِهِ إلى بيتِ العدلِ الأعظم. فما تقرّرُهُ هذه الهيئةُ - سواءٌ بالإجماعِ أو الأغلبيّةِ - هو الحقُّ بعينِهِ، وهو مرادُ اللهِ نفسِهِ. ومَن حادَ عن ذلك، فقد انضمَّ إلى أهلِ الشقاقِ، وأظهرَ الضغينةَ، وأعرضَ عن ربِّ الميثاق».[43]

وجاء أيضاً: «على الجميع التماس الهداية والتوجه نحو مركز الأمر وبيت العدل. ومن يتوجه إلى أي جهة أخرى، فهو في ضلالٍ مبين.»[44]

مع تأسيس بيت العدل الأعظم، اكتمل بناء الصرح الأخير والأسمى في هيكل النظام الإداري لحضرة بهاء الله، وعادت الهداية الإلهية لتفيض من جديد. وحين نستعرض تاريخ الدين منذ وفاة حضرة شوقي أفندي وحتى قيام بيت العدل الأعظم - وهي فترة حفلت بالكثير من المخاطر والشكوك - يتضح لنا جلياً أن المجتمع البهائي لم يحافظ على وحدته وتماسكه إلا بفضل قوة العهد. فعلى الرغم من تشتت المؤمنين في أرجاء العالم، واختلاف خلفياتهم وعاداتهم ولغاتهم، ظلت جموعهم راسخة على العهد، متوجهين نحو مركز أمر الله، أي بيت العدل الأعظم. وفي الواقع، يمكن اختزال كل ما ورد في «الوصايا» (أو ألواح الوصايا) لحضرة بهاء الله وحضرة عبد البهاء - فيما يتعلق بالفرد المؤمن - في «كلمة مفتاحية» واحدة؛ إذ لا يتوقف عليها خلاص الفرد وحياته الروحية فحسب، بل تعتمد عليها أيضاً وحدة المجتمع البهائي. وهذه الكلمة هي: «التوجُّه». فقد أمر حضرة بهاء الله أتباعه بأن «يتوجهوا» نحو

حضرة عبد البهاء بعد صعوده، وبالمثل، وجّه حضرة عبد البهاء المؤمنين بأن «يتوجهوا» نحو حضرة شوقي أفندي وبيت العدل الأعظم.

وبإخلاصٍ وولاءٍ يُذكّر بأيام الوصايا الأولى، حين التفّ البهائيون الأوفياء حول حضرة شوقي أفندي، توجّه المؤمنون في شتى أنحاء العالم اليوم نحو بيت العدل الأعظم. وقد ألهمت الرسائل الرائعة لتلك الهيئة الجليلة، التي بدأت تتدفق من المركز العالمي بعد تأسيسها بفترة وجيزة، ألهمت العالم البهائي بأسره، وأثارت مشاعر الفرح والامتنان في قلوب المؤمنين الذين كانوا يشهدون آنذاك القوة والسلطة والتوجيه الذي لا يخطئ لما تتمتع به هذه المؤسسة العليا.

المركز العالمي للتبليغ

تأسست هذه المؤسسة السامية في يونيو/حزيران 1973. وفي برقية مؤرخة في 5 يونيو/حزيران 1973 موجهة إلى العالم البهائي، وصف بيت العدل الأعظم هذه المؤسسة بأنها:

مُقَدَّرٌ لها أن تتطور لتصبح إحدى تلك المؤسسات الإدارية التي تُحدث تغييرًا جذريًا في العالم، وتحتضن وتُوجه العالم، والتي أمر بها حضرة بهاء الله، وتوقعها حضرة عبد البهاء، وشرحها حضرة شوقي أفندي.[45]

فيما يلي جزءٌ من رسالةٍ وجّهها بيت العدل الأعظم بتاريخ 8 يونيو/حزيران 1973، تُبيّن مهامَّ "المركز العالمي للتبليغ":

لقد شهد عامُ الذكرى المئوية لنزول "الكتاب الأقدس"، أحداثاً بالغة الأهمية في تاريخ الدور البهائي، مما يدعونا للتأمل - بكل إجلال - في السرعة التي تدفع بها العنايةُ الإلهيةُ أمرَ "الاسم الأعظم" إلى الأمام. إنَّ الوقتَ ملائمٌ تماماً لتأسيس "المركز الدولي للتبليغ"؛ وهو تطورٌ يُثمر - في آنٍ واحدٍ - جهودَ "أيادي أمر الله" المقيمين في الأرض المقدسة، ويضمن استمرارَ هذه الجهود وتوسُّعَها في المستقبل، كما يربط مؤسسةَ "هيئات المستشارين" ارتباطاً أوثقَ بمؤسسة "أيادي أمر الله"، ويُعزّز بقوةٍ أداءَ المسؤوليات المتنامية بسرعةٍ والمُلقاةِ على عاتق "بيت العدل الأعظم."

وسيعمل هذا "المركز الدولي للتبليغ" - بعد تأسيسه - من خلال المبنى الذي حدده "وليُّ الأمر" ليكون مقراً لـ "أيادي أمر الله"، والذي ينبغي تشييدُه ضمن "القوس (Arc)" على جبل الكرمل، على مقربةٍ من مقر "بيت العدل الأعظم."

تتمثل المهام الموكلة حالياً إلى هذه المؤسسة الناشئة فيما يلي:

تنسيق أنشطة الهيئات القارية للمستشارين وتحفيزها وتوجيهها، والعمل كحلقة وصل بينها وبين بيت العدل الأعظم.

الإلمام التام بأوضاع "الأمر المبارك" في جميع أنحاء العالم، والقدرة - استناداً إلى هذه المعرفة - على تقديم تقارير وتوصيات إلى بيت العدل الأعظم والهيئات القارية للمستشارين.

التيقظ للإمكانيات - سواء داخل المجتمع البهائي أو خارجه - لتوسيع نطاق العمل التبليغي في المناطق المتقبلة أو المحتاجة، ولفت انتباه بيت العدل الأعظم وهيئات المستشارين القارية إلى هذه الإمكانات، مع تقديم توصيات لاتخاذ إجراءات بشأنها.

تحديد وتوقّع الاحتياجات من الأدبيات (المؤلفات البهائية)، والرواد، والمبلغين المتنقلين، ووضع خطط تعليمية - على المستويين الإقليمي والعالمي - لعرضها على بيت العدل الأعظم من أجل اعتمادها.

يُعدّ جميع "أيادي أمر الله" أعضاءً في "المركز التبليغي العالمي". ويتم إطلاع كل واحد منهم بانتظام على أنشطة المركز من خلال التقارير أو نسخ من محاضر اجتماعاته؛ كما يحق لكل منهم - أينما يقيم أو يسافر - نقل الاقتراحات والتوصيات والمعلومات إلى المركز، والمشاركة - حين وجوده في الأرض المقدسة - في المشاورات والأنشطة الأخرى التي يضطلع بها المركز...

في الوقت الراهن، يتألف أعضاء هذه المؤسسة الرفيعة من ثلاثة من "أيادي أمر الله" – وهم: 'أمة البهاء' روحية خانم، والسيد فروتن، والدكتور ورقا - بالإضافة إلى تسعة من "المستشارين."

خطة السنوات التسع

في عام 1964، أطلق "بيت العدل الأعظم" خطةً عالميةً مدتها تسع سنوات، كانت بمثابة طليعة لسلسلة من الخطط التي تمتد عبر "حقب متعاقبة من كل من العصر التكويني والعصر الذهبي للدين البهائي". وقد دشّنت هذه الخطة، الحقبة الثانية من "ألواح الخطة الإلهية"، ودعت إلى توسيع نطاق الدين وتأسيس هيئاته على نطاق أوسع بكثير مما كان عليه في أي وقت مضى. ومن بين أهدافها - بحلول نهاية الخطة في عام 1973 - زيادة عدد المواقع التي يقيم فيها البهائيون لتتجاوز 54,000 موقع، ورفع عدد "المحافل الروحية المركزية" إلى 114 محفلاً، وعدد "المحافل الروحية المحلية" إلى ما يقرب من 14,000 محفل.

بهمةٍ وحماسٍ لا يقلّان توقداً وإلهاماً للروح، وبعزيمةٍ صلبةٍ لا تلين - تضاهي تلك التي ألهمت البهائيين في حقبةٍ سابقةٍ من العصر التكويني - نهض آلاف المؤمنين من شتى بقاع العالم لتحقيق أهداف هذه الخطة العالمية النطاق. ومن خلال جهودٍ قائمةٍ على التضحية، وعبر أعمال الرّيادة والتعليم، حققوا انتصاراتٍ خالدةً لأمر الله. كما استمرت عملية "دخول الناس أفواجاً" إلى دين الله - وهي الظاهرة التي بشّر بها عبد البهاء - بزخمٍ متزايدٍ في بعض أجزاء العالم. وفي الوقت ذاته، جرى إيصال رسائل حضرة بهاء الله الهامة - التي وجّهها في عصره إلى ملوك العالم وحكّامه، داعياً إياهم إلى الاعتراف بمقامه واعتناق أمره - إلى الغالبية العظمى من رؤساء دول العالم. وتسارعت وتيرة الإعلان عن رسالته لعموم البشر، مما مهّد الطريق لخروج دين الله تماماً من دائرة الخمول، وأدى إلى تحرره من قيود التقاليد الدينية الجامدة، وصولاً إلى الاعتراف به كدينٍ مستقلٍّ قائمٍ بذاته. ومع ختام هذه الخطة، تحققت خطواتٌ جسيمةٌ في المركز العالمي للدين نحو إنجاز العديد من الأهداف الهامة؛ شملت تدوين "الكتاب الأقدس"، وصياغة النظام الأساسي لـ "بيت العدل الأعظم"، وضمان استمرارية مهام

"أيادي أمر الله" - المتمثلة في الحماية ونشر الدين - عبر تعيين هيئاتٍ للمستشارين، بالإضافة إلى جمع وتصنيف كتابات حضرة بهاء الله وحضرة عبد البهاء وحضرة شوقي أفندي، وتوسيع الممتلكات البهائية في الأرض المقدسة، وتطوير وتجميل الحدائق المحيطة بالمقامات المقدسة.

كان الهدف والغرض من هذه الخطة، وما تلاها من خطط، هو نشر نور الإيمان بحضرة بهاء الله في جميع أنحاء العالم، وبناء نظام عالمي جديد للبشرية جمعاء. وهذا النظام العالمي الجديد ينمو الآن – كالجنين - وسط صخب وفوضى نظامٍ عالمي آيلٍ للزوال، يندفع بخطىً متسارعة نحو حتفه ودماره.

تشبيه البيت القديم والبيت الجديد

يمكن تشبيه النظم القديمة، ببيتٍ عتيقٍ احتمت البشريةُ بجدرانه لقرونٍ طويلة وعاشت فيه أممُ العالم في عزلةٍ نسبيةٍ عن بعضها البعض، إلى أن جاء حضرة بهاءُ الله، فبثَّ حياةً جديدةً في كلِّ ما في الوجود، وأشرقَ فجرُ عصرٍ جديدٍ على الإنسانية.

في ألواحه، أعلن حضرة بهاءُ الله لشعوب العالم بعباراتٍ لا لبس فيها: «سَيُطْوَى هَذَا النِّظَامُ الْحَالِيُّ، وَيُبْسَطُ مَكَانَهُ نِظَامٌ جَدِيدٌ». وحذَّرهم من أنَّ ذلك البيت القديم، لم يعد يوفر ملاذًا آمنًا للبشرية، وأنه سينهار عاجلًا أم آجلًا. ودعا شعوب العالم إلى الخروج من هذا البيت القديم، والبدء - تحت إرشاده - في تشييد بيتٍ جديد. غير أنَّ هذه الدعوة الصريحة من بهاءُ الله، لم تجد آذانًا صاغية؛ إذ لم يدرك حقيقتَه - باعتباره مُخلِّصَ البشرية ومُهندِسَ البيت الجديد، أي هذا النظام العالمي الجديد - في بادئ الأمر، سوى قلةٍ قليلةٍ من أبناء وطنه. فهؤلاء غادروا البيت القديم وخرجوا منه ليمهدوا الطريق لبناء البيتٍ الجديد.

إن الجزء الأول والأهم في أي بناء هو وضع أساساته، وتتمثل الخطوة الأولى في ذلك في أعمال الحفر. وهي مرحلة يبدو فيها كل شيء وكأنه يُهدم ولا يُبنى، ولا تبدو الأعمال فيها ذات طابع إنشائي. لذا، ففي الأيام الأولى للدين البهائي، لم يدرك العالم الخارجي عظمة العمل الجليل الذي قامت به ثلة من النفوس البطولية، التي عملت بتفانٍ وشجاعة لا نظير لهما لتمهيد الطريق لبناء صرحٍ جديد؛ ألا وهو هذا النظام الذي يمتد ليشمل العالم بأسره. لقد اتسمت تلك الفترة بالاضطهاد والاستشهاد، وهي فترة - إذا ما استخدمنا تشبيهنا السابق - أثارت فيها عمليات حفر أساسات هذا الصرح الجديد عواصف من الغبار، مما جعل البشرية جمعاء تنظر إلى تلك الجهود على أنها عملٌ عبثي لا طائل منه. ومع أن قصص البطولة والاستشهاد بلغت أسماع الناس في الشرق والغرب، إلا أن عامة البشر من - سكان "البيت القديم" - كانوا منشغلين بشؤونهم الخاصة، وحُرموا من الرؤية الروحية؛ فلم يدركوا شيئاً من مجد وعظمة تلك السنوات السبع والسبعين التي شكّلت "العصر البطولي"، ومهّدت الطريق لوضع أساسات "النظام العالمي الجديد" الذي جاء به حضرة بهاء الله في مرحلة لاحقة.

مع بزوغ فجر «العصر التكويني» في عام 1921، حان أخيراً أوان التشييد الفعلي للبنيان الجديد. فقد شرع البهائيون في شتى بقاع العالم، بتوجيه من حضرة شوقي أفندي - ولي أمرهم المحبوب - في وضع أسس هذا البنيان. وبعد خمسين عاماً من الخدمة المتفانية، والجهد الدؤوب الذي بذله بناة «النظام العالمي» لحضرة بهاء الله، بدأت معالم هذا البنيان

الجديد - الذي قُدِّر له أن يضم في طياته، حين يكتمل نضجه، الجنس البشري بأسره - تتجلى تدريجياً من بين أنقاض النظم القديمة؛ وهي تجذب إليها يوماً بعد يوم، وبأعداد متزايدة وباستمرار، رجالاً ونساءً من مختلف مشارب الحياة، ممن أصابتهم خيبة الأمل من البيت القديم.

أما الآخرون، وهم يشكلون غالبية البشرية، فهم - على حد تعبير حضرة بهاء الله - "محرومون من البصيرة التي تمكّنهم من رؤية الله بأعينهم، أو سماع نغماته بآذانهم".[49] فبسبب قيود التقاليد الموروثة منذ أمدٍ بعيد، ووقوعهم في قبضة نظم عليلة، أصبحت رؤيتهم محجوبة بحُجبٍ كثيرة وُضعت أمام أعينهم؛ كالمادية والتحيّز، والكبرياء والخيلاء، مما منعهم من إدراك عظمة وجمال "البناء الجديد" الذي يرتفع بشموخٍ وسط فوضى عالمٍ ممزق.

واليوم، تجتاح قوى الدمار وجه الأرض، بينما يزداد "البيت القديم" اهتزازًا حتى في أُسُسه. وفي داخله، تعاني البشرية - المثقلة بالألم والحيرة - محاولاتٍ يائسة لترميم هيكلٍ يتداعى بسرعة، ولم يعد بالإمكان إصلاحه على الإطلاق.

كتب حضرة بهاء الله قبل نحو مئة عام:

«إنَّ العالمَ في مخاضٍ»، هكذا كتب حضرة بهاءُ الله منذ ما يقربُ من مئة عام، «واضطرابُه يزدادُ يومًا بعد يوم. فلقد ولَّى وجهَهُ شطرَ الضلالِ والكفر. وسوف تبلغُ محنتُه مبلغًا لا يليقُ ولا يَحسُنُ الكشفُ عن تفاصيلِه في الوقتِ الراهن. وسيستمرُّ هذا الانحرافُ طويلًا. وحين تحينُ الساعةُ الموعودة، سيظهرُ فجأةً ما يجعلُ أوصالَ البشريةِ ترتجف. وعندئذٍ - وفقط عندئذٍ - سيُرفعُ اللواءُ الإلهيُّ، ويصدحُ بأنغامِه عندليبُ الفردوسِ».[50]

يدرك أتباع حضرة بهاء الله، أن البيت القديم لم يعد قابلاً للإصلاح، وأنه سينهار في نهاية المطاف؛ لذا فهم يعملون في كل بقاع الأرض، بمنتهى التفاني وشعورٍ بالغٍ بالاستعجال، على تشييد البيت الجديد. ومع أن البهائيين حريصون على مد يد العون للمحرومين والمستضعفين، ويسعون لتخفيف وطأة البؤس والمعاناة التي يكابدها بنو البشر في ظل النظم القديمة، إلا أنهم يدركون في الوقت ذاته، أن هذا النظام محكومٌ عليه بالفشل، وأن مثل هذه المساعدات لن تكون ذات قيمةٍ تذكر، ولن تفلح في نهاية المطاف في حل مشكلات البشرية. إنهم يرون بوضوح - في ظل ما يعانيه العالم من أمراض شتى - أن مهمتهم الوحيدة تكمن في إحياء شعوب العالم وإعادة توجيه المجتمع البشري توجيهاً جذرياً وشاملاً.

يظل البهائيون مخلصون لحكومات أوطانهم، وينأون بأنفسهم عن المشاركة في السياسات الحزبية. وبهذه الطريقة وحدها، يستطيعون الحفاظ على ولائهم للرسالة التي عهد بها إليهم حضرة بهاء الله؛ وهي الرسالة الرامية إلى بناء نظامٍ عالميٍّ جديدٍ للبشرية في "العصر التكويني".

النصف الأول من القرن الأول للعصر التكويني

يا له من مشهدٍ عظيمٍ يتجلى أمامنا ونحن نستعرض الأحداث الجسام التي شهدها النصف الأول من القرن الأول للعصر التكويني للدين - ذلك العصر الذي شهد، قُبيل رحيل "المولى"

حضرة (عبد البهاء)، بزوغ النظام الإداري لحضرة بهاء الله. إن نظرةً سريعةً على تاريخ هذا الأمر المبارك تُبيّن أن ديناً - تعرّض للاضطهاد في مهد نشأته منذ بداياته الأولى، وتلقى ضربةً موجعةً باستشهاد "مبشّره"، وقاسى محناً لا تُطاق أُنزلت بمؤسسه، وشهد استشهاد ما لا يقل عن عشرين ألفاً من أتباعه، وكان خصمه الملك "ناصر الدين شاه" يتوقع تمامًا محو اسم هذا الدين من صفحات التاريخ - قد اكتسب، خلال الخمسين عاماً الأولى من العصر التكويني، من الحيوية والقوة وحقق من التقدم المذهل ما أدهش أتباعه المخلصين وأعداءه على حد سواء.

إنَّ نورَ الدِّينِ الذي أُوقِدَ في «سياه چال» بطهران، والذي تجلَّى ضياؤه بوضوحٍ تامٍّ في أدرنة، وأضاءت أشعَّتُه بقاعاً من قارات أمريكا وأوروبا وأستراليا، إبَّانَ فترةِ خدمةِ حضرة «المولى» (عبد البهاء)، قد انتشر - خلال المرحلةِ المبكِّرةِ من «العصر التكويني» - بشكلٍ منهجيٍّ، ليصلَ إلى ما يقربُ من خمسين ألفَ موقعٍ حولَ العالم. ولقد طافَ «جيشُ النور» - المؤلَّفُ من المهاجرين والمبلغين والإداريّينَ من شَتَّى الأعراقِ والطبقاتِ والألوان، أرجاءَ المعمورةِ قاطبةً يُعلنون للبشريَّةِ عن ظهورِ «ربِّ الجنود»-. وقد بلغَ دِينُ حضرة بهاءِ اللهِ تقريباً، كلَّ طبقةٍ من طبقاتِ المجتمعِ الإنسانيِّ؛ حيثُ أصبحت حقائقُه الجوهريَّةُ، وتاريخُه، وتعاليمُه، وقوَّتُه المُغيِّرةُ، وغايتُه ومقاصدُه، مَحطَّ اهتمامٍ متزايدٍ لدى بشريَّةٍ تعاني من الآلام. كما أُرسِيَت دعائمُ مؤسَّساتِ «نظامه الإداريِّ» المُستمدّة توجيهاتها من العنايةِ الإلهيَّةِ في مركزِه العالميِّ، وبالقربِ من مزاراتِه المقدَّسةِ، شُيِّدَ بمهابةٍ الصرحُ الأسمى لهذا النظامِ ذاتِه، ألا وهو «بيتُ العدلِ الأعظمُ» - الذي سيكشفُ للبشريَّةِ، في الوقتِ المناسبِ، عن مقامِه المجيدِ ويُظهِرُ سيادةَ حضرة بهاءِ اللهِ.

إن تحقيق مثل هذه الانتصارات الجليلة لهذا الدين في فترة زمنية وجيزة - هو ما يُبشِّر بإنجازات أعظم في المستقبل - يعود في المقام الأول إلى قيام "النظام الإداري" الذي أشاد حضرة شوقي أفندي بأهميته قائلاً:

لا ينبغي لأحد - في الوقت الذي لا يزال فيه هذا النظام في مهده - أن يسيء فهم طبيعته، أو يقلل من شأنه، أو يحرّف غايته. إن الأساس الراسخ الذي يقوم عليه هذا النظام الإداري هو مشيئة الله الثابتة للبشرية في هذا العصر. ومصدر إلهامه ليس سوى حضرة بهاء الله نفسه. أما درعه والمدافع عنه، فهم جند "الملكوت الأبهى" الصامدون في خضم المعارك، وبذرته هي دماء ما لا يقل عن عشرين ألف شهيد قدموا أرواحهم فداءً لكي يرى هذا النظام النور والازدهار. أما محور دوران مؤسساته فهي الأحكام الأصيلة الواردة في "الوصية" أو "العهد والميثاق" التي وضعها حضرة عبد البهاء. ومبادئه التوجيهية هي الحقائق التي أوضحها حضرة عبد البهاء جلياً - بصفته المفسر المعصوم لتعاليم عقيدتنا - في خطاباته العامة في شتى أنحاء الغرب. والقوانين التي تحكم سير عمله وتحدد نطاق مهامه هي تلك التي نص عليها كتاب "الأقدس" صراحةً. أما المركز الذي تتجمع حوله أنشطته الروحية والإنسانية والإدارية فهو "مشرق الأذكار" ومرافقه التابعة له. والدعائم التي تساند سلطته وتدعم بنيانه فهما المؤسستان التوأمان: "ولاية الأمر" و"بيت العدل الأعظم". والهدف الجوهري الكامن وراءه، هو إرساء "النظام العالمي الجديد" كما بشّر به حضرة بهاء الله. أما الأساليب التي

يتبعها والقيم التي يغرسها، فهي لا تنحاز إلى شرق أو غرب، ولا تميز بين يهودي أو غير يهودي، ولا بين غني أو فقير، ولا بين أبيض أو ملون. شعاره هو توحيد الجنس البشري، ومعياره هو "السلام الأعظم"، وغايته القصوى هي بزوغ ذلك الألف عام الذهبي؛ ذلك اليوم الذي ستصبح فيه ممالك هذا العالم ملكوت الله نفسه، ملكوت حضرة بهاء الله.

تطورات رئيسة أخرى خلال فترة «خطة السنوات التسع» وما بعدها

منذ صدور الطبعة الأولى لهذا الكتاب عام 1972، وعقب إتمام «خطة السنوات التسع»، أُطلقت سلسلةٌ من الخطط التعليمية الدولية ونُفِّذت بنجاحٍ في جميع أنحاء العالم البهائي، وهي: «خطة الخمس سنوات» (1974-1979)، و«خطةُ السبع سنوات» (1979-1986)، و«خطة الست سنوات» (1986-1992)، و «خطة الثلاث سنوات» (1993-1996)، و«خطة الأربع سنوات» (1996-2000). وفي عام 2000، وجّه «بيت العدل الأعظم» أنظار العالم البهائي نحو سلسلةٍ من الخطط التي - كما أشار - ستقود المجتمع البهائي وصولاً إلى عام 2021.

ستستغرق المرحلتان التاليتان في مسار تنفيذ الخطة الإلهية عاماً واحداً وخمسة أعوام على التوالي. ففي فترة "الرضوان" من عام 2000، سيُدعى العالم البهائي للشروع في المرحلة الأولى من هاتين المرحلتين؛ وهي جهودٌ تمتد لاثني عشر شهراً، تهدف إلى تركيز القوى والقدرات والرؤى التي برزت بقوةٍ واضحة. أما "خطة السنوات الخمس" التي ستليها، فستُطلق سلسلةً من المبادرات العالمية التي ستواكب مسيرة المجتمع البهائي خلال العشرين عاماً الأخيرة من القرن الأول للدين البهائي للـ "العصر التكويني". وستواصل هذه الخطط العالمية تركيزها على دفع عجلة دخول الناس أفواجاً في الدين، وعلى تسريع هذه العملية بشكلٍ منهجي.[2]

منذ بدايته الأولى، واجه "أمر الله" اضطهاداتٍ شديدةً على يد أعدائه؛ ويوضح حضرة شوقي أفندي هذه الظاهرة قائلاً:

... فمع كل موجة جديدة من العداء ضد الدين - سواء جاءت من الداخل أو من الخارج - تتدفق عناية إلهية موازية، تمد المدافعين عنه بالقوة وتُربك خصومهم؛ مما يمنح دفعةً جديدةً لمسيرة الدين نحو الأمام. وبدورها، تؤدي هذه الدفعة - من خلال تجلياتها - إلى إثارة عداءٍ جديدٍ في أوساطٍ لم تكن تدرك من قبلُ ما يحمله هذا الدين من دلالاتٍ تتحدى المألوف...

إن المسيرة التي لا تُقهر لدين حضرة بهاء الله - عند النظر إليها من هذه الزاوية، وبدافع من التأثيرات المحفزة التي تولدها كلٌّ من حماقة أعدائه والقوة الكامنة في ذاته - تتجلى في سلسلة من النبضات الإيقاعية؛ فهي من ناحية، تتسارع بفعل الهجمات العنيفة التي يشنها خصومه، ومن ناحية أخرى بفضل فيض القوة الإلهية التي تدفعها - بزخمٍ متزايدٍ باستمرار - على طول المسار المقدّر لها، والذي رسمته يدُ القدير.

لم يظهر هذان المساران المتلازمان - الأزمة والانتصار - بوضوحٍ كما ظهرا في هذه الحقبة التي يتعرض فيها البهائيون في إيران للاضطهاد على يد أعداء الدين. فقد بدأ الاضطهاد الشرس للبهائيين في إيران عام 1979 ولا يزال مستمراً حتى يومنا هذا، مما أسفر عن استشهاد أكثر من 200 مؤمن. وشمل ذلك مصادرة جميع الأماكن المقدسة والأوقاف البهائية، وحلّ كافة المؤسسات الإدارية البهائية، وهدم "بيت حضرة الباب" - وهو مزارٌ مقدس - وهدم "بيت حضرة بهاء الله" في طهران، وحرمان الشباب البهائي من التعليم العالي، وسلب الحقوق الإنسانية الأساسية من البهائيين؛ مما أدى إلى صدور تصريحات عن دعم البهائيين من قِبل حكومات وشعوب العالم، وإلى إدانةٍ دوليةٍ لاضطهاد البهائيين في إيران.

فيما يلي قائمة ببعض التطورات الرئيسية في العالم البهائي خلال الفترة من عام 1972 إلى عام 2008. وقد أعدَّ المؤلف قائمةً بالتطورات التي جرت بين عامي 1972 و 1999، ثم تمَّ تحديث هذه القائمة في عام 2008. ولتسهيل الرجوع إليها، جرى تصنيف هذه القائمة ضمن فئاتٍ عامة.

تطورات في المركز العالمي

في عام 1973، تم اكتساب قصر المزرعة - الذي كان مسكناً لحضرة بهاء الله بعد مغادرته مدينة عكاء - وجرى ترميم المبنى وتوسيع الحدائق المحيطة به.

في عام 1975، تم اكتساب بيت عبد الله باشا وترميمه؛ وهو البيت الذي اتخذه حضرة عبد البهاء مسكناً له في عكاء لعدة سنوات.

في عام 1983، اكتمل بناء مقر بيت العدل الأعظم على جبل الكرمل وبدأ استخدامه؛ ومن هذا الصرح المهيب، تنطلق قوى الهداية والاستنارة - التي تضفي الحيوية على العالم - لتصل إلى المجتمع البهائي العالمي.

في يناير 2001، جرى الاحتفال بانتقال "المركز العالمي للتبليغ" إلى مقره الدائم على جبل الكرمل؛ وهو حدث يُعدّ من "الأحداث التاريخية في العصر التكويني"، وقد حضره مستشارون وأعضاء في هيئات المعاونين من مختلف أنحاء العالم.

في مايو 2001، أُقيم حدثٌ بارزٌ في المركز العالمي، حضره ممثلون عن جميع المجتمعات البهائية من مختلف أنحاء العالم، وذلك احتفاءً بإنجاز المشاريع على جبل الكرمل. وقد أثمرت هذه المشاريع عن "بنيةٍ موسعةٍ للغاية للمركز العالمي، قادرةٍ على مواجهة تحديات القرون القادمة واستيعاب النمو الهائل للمجتمع البهائي". وشملت هذه المشاريع إنشاء 18 شرفةً تمتد فوق وتحت مقام حضرة الباب، وتشييد كلٍّ من "مركز دراسة النصوص المقدسة" و"مقر المركز التبليغ العالمي"، بالإضافة إلى توسعة الطابق السفلي لمبنى الأرشيف.

مواصلة توسيع وتجميل الحدائق والأراضي المرتبطة بالأماكن المقدسة في مدينتي عكاء وحيفا والمناطق المحيطة بهما.

زيادة ملحوظة في أعداد الحجاج، بفضل إنشاء مرافق جديدة لاستقبالهم.

تطبيق قوانين حضرة بهاء الله

في عام 1984، تم إدخال قانون "حقوق الله" إلى العالم الغربي، ثم طُبِّق على نطاق عالمي في عام 1992. وتحت التوجيه المباشر لـ "أمين حقوق الله" - وهو أحد "أيادي أمر الله" علي محمد ورقاء - جرى تأسيس هيئات لأمناء حقوق الله في مختلف أنحاء العالم، وتوّجت هذه الجهود في عام 2005 بتشكيل "هيئة الأمناء الدولية."

وفي عام 1999، بدأ التطبيق العالمي لكافة أحكام الصلاة والصيام المفروضة، بالإضافة إلى تكرار عبارة "الله أبهى" 95 مرة يومياً.

تطورات عالمية هامة

- تعرُّض البهائيين للاضطهاد في كل من إيران ومصر وبلدان أخرى.
- إعلان "بيت العدل الأعظم" عن دخول "العصر التكويني" في مرحلته الرابعة عام 1986، ثم في مرحلته الخامسة عام 2001.
- إتمام بناء "مشارق الأذكار" (دور العبادة البهائية) في كل من مدينة بنما (دولة بنما)، وأبيا (ساموا الغربية)، ونيودلهي (الهند)؛ والإعلان عن خطط لإنشاء مشرق أذكار في سانتياغو (تشيلي).
- اعتناق سمو ملك ساموا الغربية، "ماليتوا تانومافيلي الثاني"، للدين البهائي في عام 1973.
- إعلان "بيت العدل الأعظم" عن الفترة الممتدة من 21 أبريل 1992 إلى 20 أبريل 1993 "عاماً مقدساً" تكريماً لحضرة بهاء الله، واحتفاءً بالذكرى المئوية لصعوده.
- إحياء الذكرى المئوية لصعود حضرة بهاء الله في رحاب ضريحه في "البهجة"، بحضور "فرسان حضرة بهاء الله" وما يقرب من ثلاثة آلاف من المؤمنين، الذين مثلوا مختلف المجتمعات الوطنية من جميع أنحاء العالم.
- عقد المؤتمر العالمي البهائي الثاني في نوفمبر 1992 في مدينة نيويورك - "مدينة العهد" - بمشاركة نحو 27 ألفاً من أتباع حضرة بهاء الله من شتى الخلفيات ومختلف شرائح المجتمع الإنساني، حيث احتفلوا بسرور بالغ بالذكرى المئوية لإرساء "عهد حضرة بهاء الله". وتزامن ذلك مع انعقاد تسعة مؤتمرات إقليمية في خمس قارات، رُبطت بالمؤتمر العالمي عبر الأقمار الصناعية.
- تنظيم ثمانية مؤتمرات دولية خلال عامي 1976-1977، وخمسة مؤتمرات في عام 1982، و 41 مؤتمراً في عامي 2008-2009.
- الخروج من دائرة الخمول ودخول "الأمر المبارك" إلى الساحة العالمية.
- خروج الدين البهائي من دائرة الخمول، وتزايد الاعتراف به من قِبل قادة العالم والحكومات؛ حيث سعى بعضهم - في مناسباتٍ عدة - إلى استطلاع آراء البهائيين حول المشكلات الاجتماعية والأخلاقية التي تواجه البشرية اليوم، والتماس حلولٍ لها.

- تقدم المجتمع البهائي العالمي في مجال الشؤون الخارجية، بهدف تعزيز مسارات السلام العالمي، لا سيما من خلال انخراط المجتمع في مجالات التربية الأخلاقية، والازدهار العالمي، ووضع المرأة، وحقوق الإنسان.
- تأسيس "مكتب الإعلام العام" في المركز العالمي للبهائيين، مع هيئاتٍ تابعةٍ له في نيويورك ومناطق أخرى من العالم.
- إنشاء كراسي أكاديمية بهائية في الجامعات؛ منها - على سبيل المثال - "كرسي البهائية للسلام العالمي" في جامعة ميريلاند بالولايات المتحدة عام 1993، و"كرسي الدراسات البهائية" في جامعة إندور بالهند، و"كرسي الدراسات البهائية" في الجامعة العبرية في القدس عام 1999.
- توسعٌ ملحوظٌ في دور "المجتمع البهائي العالمي" على الساحة الدولية؛ إذ حصل على صفة استشارية لدى المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة عام 1970، ولدى منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسف) عام 1976. كما تم تأسيس "مكتب البيئة" في نيويورك عام 1989، و"مكتب النهوض بالمرأة" عام 1992.
- اختيار ممثل "المجتمع البهائي العالمي" في عام 2000 رئيساً مشاركاً لـ "منتدى الألفية للمنظمات غير الحكومية"، وإلقاؤه كلمةً أمام "قمة الألفية" نيابةً عن مجتمع المنظمات غير الحكومية.
- تأسيس "مكتب التنمية الاجتماعية والاقتصادية" في المركز العالمي للبهائيين عام 1983، وما تلا ذلك من دمجٍ لأنشطة التنمية الاجتماعية والاقتصادية ضمن المساعي الدورية للمجتمع البهائي العالمي.
- نمو الدين والجهود المبذولة لتعزيز عملية "دخول الناس أفواجاً"
- بدأ تنفيذ خطة مدتها أربع سنوات في عام 1996، كان لها هدف رئيسي واحد - يستمر حتى عام 2021 - وهو تحقيق تقدم ملموس في عملية انضمام الأفراد إلى الصفوف. وبحلول عام 2000، تحقق "تقدم ملحوظ في نشاط وتطور المؤمن الفرد، والمؤسسات، والمجتمع المحلي"[56]، وذلك من خلال إنشاء نظام لمعاهد التدريب في جميع أنحاء العالم.
- ومع اقتراب نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين، ظهرت ثقافة جديدة للنمو في المجتمع البهائي العالمي. فقد قامت المجتمعات الوطنية بتقسيم أراضيها إلى "مجموعات جغرافية (clusters)"، وركزت اهتمامها داخل هذه المجموعات على مسارين: التدفق المستمر للمؤمنين عبر سلسلة من الدورات التي تقدمها معاهد التدريب، وانتقال هذه المجموعات الجغرافية عبر مراحل مختلفة من النمو. كما تطورت الهيئات الإدارية على مستوى هذه المجموعات لدعم هذين المسارين، بالإضافة إلى أعمال التبليغ.
- وقد مكّنت فعالية التدريب الذي وفرته هذه المعاهد، لمئات الآلاف من المؤمنين من اكتساب المعرفة، والرؤى الروحية، والمهارات، والسمات اللازمة للقيام بأعمال

خدمية تدعم التوسع والترسيخ على نطاق واسع. ومن بين هذه الأعمال الخدمية، هناك أربعة أنشطة جوهرية مفتوحة للمشاركة أمام المجتمع الأوسع:

- توفر حلقات الدراسة - من خلال التواصل مع كلمة الله - التدريب المذكور أعلاه؛ كما توفر اللقاءات التعبدية، وبرامج الناشئة المصممة لغرس روح خدمة الإنسانية، وصفوف الأطفال المخصصة للتربية الروحية والأخلاقية للصغار.
- تحديد هدف يتمثل في إنشاء برامج نمو مكثفة في 1500 "عنقود" (مجموعة من المجتمعات المحلية) حول العالم، وذلك ضمن إطار "خطة السنوات الخمس" التي بدأت في فترة "الرضوان" عام 2006.
- أصبح العمل المنهجي وثقافة التعلّم - التي تقوم على عملية متكاملة تشمل العمل، والتشاور، والتأمل، والتخطيط - بحلول عام 2008، هي السمة المميزة لطريقة عمل المجتمع. ويجري حالياً تطبيق هذا النهج المتماسك تدريجياً على مجالات أخرى من أنشطة "الدين."
- توسع ملموس للدين في جميع جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق ودول أوروبا الشرقية، مع تأسيس محافل روحانية محلية ومركزية.
- تعاون عالمي بين مختلف المحافل الروحانية المركزية، أثمر عن تنفيذ العديد من المشاريع المشتركة بين هذه المحافل، وفقاً لما نصت عليه خطط التبليغ المختلفة.
- حضور الشباب في طليعة كافة جوانب عمل "الأمر المبارك".
- إطلاق "سنة خدمة الشباب."
- تطوير مؤسسات الدين.
- مع رحيل أمة البهاء روحية خانم، زوجة ولي أمر الله، وبقية "أيادي أمر الله" الآخرين، انتهت "الرعاية المتميزة لمؤسسةٍ يُعدُّ إرثُها فريداً لا نظير له في التاريخ الديني!"[57]
- تم إنشاء "المركز التعليمي الدولي" في عام 1973، وفي العام ذاته استُحدثت وظيفة "مساعدي أعضاء هيئة المعاونين". وبحلول عام 2008، بلغ عدد "المستشارين القاريين" 72 مستشاراً، بينما وصل عدد أعضاء "هيئات المعاونين" إلى ألف عضو.
- شهدت "المحافل الروحانية" المحلية والمركزية تعزيزاً في مكانتها، كما ازداد عددها؛ ففي أبريل/نيسان 2008، كان هناك 184 محفلاً روحانياً مركزيًا يمارس مهامه في مختلف أنحاء العالم.
- تأسيس "مجالس بهائية إقليمية" في بلدانٍ اقتضت ظروفُها ذلك، حيث مُنحت هذه المجالس صلاحياتٍ مستقلة لاتخاذ القرارات المتعلقة بالشؤون التعليمية والإدارية على حد سواء.
- تحسّنٌ ملحوظ في فاعلية التعاون بين "مؤسسة المستشارين" من جهة، و"المحافل الروحانية" المركزية والمحلية وهيئاتها التابعة من جهة أخرى.

الأدبيات

- نشر الطبعة الأولى من الترجمة الإنجليزية لـ «الكتاب الأقدس» - الكتاب الأم لهذا الدور - متضمنةً موادَّ إضافيةً وحواشيَ عديدةً، تلاها ترجمةُ هذا الكتاب إلى لغاتٍ أخرى.
- نشر ترجماتٍ إنجليزيةٍ معتمدةٍ لنصوصٍ مقدسةٍ، وهي: «ألواح حضرة بهاء الله التي نزلت بعد كتاب الأقدس»، و«نداء رب الجنود»، و«دعاء الشفاء الطويل»، و«لوح النار»، و«جواهر الأسرار الإلهية»، و«خيمة الوحدة»، ومختاراتٍ من كتابات حضرة الباب، ومختاراتٍ من كتابات حضرة عبد البهاء.
- نشرُ مجموعاتٍ موضوعيةٍ متنوعةٍ تضمُّ كتاباتٍ لحضرة بهاء الله، وحضرة عبد البهاء، وحضرة شوقي أفندي، بالإضافة إلى رسائلَ صادرةٍ عن بيت العدل الأعظم.
- إعدادُ ترجمةٍ جديدةٍ لكتاب "المفاوضات" (Some Answered Questions).
- مواصلةُ جمع النصوص المقدسة وتصنيفها.
- زيادةٌ ملحوظةٌ في نشر الأدبيات البهائية بلغاتٍ مختلفةٍ.
- بياناتٌ رئيسيةٌ ووثائقُ هامةٌ أخرى.
- نشرُ وثيقة «وعد السلام العالمي» - وهي رسالةٌ وجّهها بيت العدل الأعظم إلى شعوب العالم، توضح التقدم المُحرز نحو السلام، والعقبات التي لا تزال تعترض سبيله - وتقديمُها إلى رؤساء الدول وغيرهم من القادة العالميين، بالإضافة إلى عامة الناس في معظم بلدان العالم.
- نشر رسالة بيت العدل الأعظم الصادرة في أبريل/نيسان 2002 والموجهة إلى "القادة الدينيين في العالم"، والتي تدعوهم إلى إحداث قطيعة مع الماضي، تضاهي في حسمها تلك التحولات التي مهدت الطريق أمام المجتمع لمعالجة أشكال التحيّز المدمرة - القائمة على العرق والجنس والقومية - على قدم المساواة؛ وإعداد وثيقة "قرن من النور" (Century of Light)، التي تتناول العلاقة بين التغيرات العميقة التي شهدها العالم والمجتمع البهائي خلال القرن العشرين.
- إصدارُ العديد من البيانات حول قضايا تهمُّ العالمَ من قِبل الجامعة البهائية العالمية، ومن بينها: «حضرة بهاء الله»، و «ازدهارُ البشرية»، و «نقطةُ تحوّلٍ لجميع الأمم»، و "مَن يكتبُ المستقبلَ؟".

منح الأمين العام للأمم المتحدة لقب "رسول السلام" للجامعة البهائية العالمية وخمس محافل روحانية وطنية - في كل من أستراليا، وبلجيكا، والبرازيل، وكينيا، وليسوتو - وهو تكريم لم تحصل عليه سوى 300 منظمة على مستوى العالم. تمنح تعاليم حضرة بهاء الله للفرد المؤمن هبة الإيمان؛ فكلما اقترب المرء من بهاء الله، نمت روحه روحانيًا ونالت قدرًا أكبر من الاستنارة في عوالم الروح. ولإدراك هذه الظاهرة، لا بد من فهم قوى النفس البشرية وخصائصها. وتكشف دراسة كتابات حضرة بهاء الله وحضرة عبد البهاء حول هذا الموضوع أن النفس لا تنشأ من عالم المادة، بل هي فيضٌ من عوالم الله الروحانية. فخلال فترة نمو الجنين في رحم الأم، ترتبط النفس بالجسد. ولأن النفس كيانٌ روحانيٌّ لا مادي، فهي لا تدخل الجسد ولا تغادره؛ إذ إنها أسمى من الدخول أو الخروج، ومن الصعود أو الهبوط، وهي

مستقلة عن أي مؤثرٍ أرضي. إن ارتباطها بالجسد يشبه ارتباط الضوء بالمرآة؛ فالضوء ليس داخل المرآة، بل ينعكس عليها، وإذا أُزيلت المرآة، يظل الضوء كما هو دون أن يتأثر.

وبما أن النفس أسمى من كل الخليقة المادية، فإن عقولنا تعجز عن إدراك طبيعتها أو سبر أغوار جوهرها؛ فكل ما يمكننا معرفته هو صفاتها وخصائصها. وفي هذه الحياة، تظل قدرتنا على فهم الحقائق الروحية محدودة، ومعرفتنا بالنفس مستمدةٌ من "مظاهر الله" الذين نقلوا لنا - من خلال كلماتهم - بعضاً من دلالاتها. ومع ذلك، تظل الكلمات أدواتٍ قاصرةً عن شرح الحقائق الروحية.

وتُبيّن دراسة كتابات حضرة بهاء الله، أن خلق الله، كيانٌ واحدٌ يشمل كلاً من العالمين الروحي والمادي. فالقوانين والمبادئ ذاتها التي نجدها في الطبيعة موجودةٌ أيضاً في العوالم الروحية، لكنها تُطبَّق على مستوىً أرقى، وتتضمن خصائص لا وجود لها في العالم الأدنى.

نظائر مادية وروحية

نظراً لأن المبادئ والقوانين الأساسية للوجود، تسري في سائر أرجاء الخليقة، فإن العديد من الظواهر المادية التي نلاحظها على هذه الأرض، لها نظائر في العوالم الروحية. لذا، دعونا نتأمل بعض جوانب النفس في ضوء هذه المبادئ المشتركة. فمن خلال دراسة كتابات حضرة بهاء الله وحضرة عبد البهاء، يتضح أن نظير النفس في هذا العالم المادي هو الجنين الذي ينمو في رحم الأم. ونحن نلحظ أوجه تشابه عديدة بينهما، حيث إن معرفة أحدهما تقود إلى فهمٍ - وإن كان محدوداً - للآخر.

نحن نعلم أن الجسد المادي للطفل ينمو في رحم الأم، ويكتسب أعضاءً وأطرافاً لا تظهر الحاجة إليها إلا بعد الولادة. وينطبق هذا المبدأ ذاته على النفس؛ فهي تترقى في "رحم" هذا العالم، مكتسبةً سماتٍ روحيةً تعدّ جوهريةً لوجودها في الحياة التالية. فثمة تماثلٌ حقيقيٌّ بين الجنين في رحم الأم والنفس في هذه الحياة.

النفس تكتسب الصفات الحميدة

نلاحظ في العالم المادي أن الجنين في رحم أمه يبدأ حياته بخلية واحدة. ومع مرور الوقت، تتكاثر هذه الخلية لتشكل الأطراف والأعضاء، حتى تنتهي المرحلة الجنينية ويولد الطفل ككائن مكتمل التكوين. وهنا يتجلى التباين الشاسع بين الخلية الأولى في البداية وبين اكتمالها عند الولادة.

وتحدث ظاهرة مماثلة بالنسبة للنفس؛ فهي في بدايتها تكون خالية من التجارب، وتظل صفاتها وقواها كامنة في داخلها. ومن خلال ارتباطها بالجسد في هذا العالم الذي يشبه الرحم، تتطور شخصيتها وتكتسب صفات روحية وسمات إلهية تحملها معها إلى العالم التالي. أما الصفات السيئة، فلا يمكن للروح أن تأخذها معها؛ إذ إنها في الواقع ليست كيانات قائمة بذاتها، بل هي مجرد غياب للصفات الحميدة، تماماً كما أن الفقر ليس له وجود مستقل، بل هو افتقار إلى الثراء. فإذا عاش الإنسان حياة بعيدة عن الله، تصبح روحه فقيرة، ولا تحمل معها إلى العالم الآخر إلا قدراً ضئيلاً من الخير.

يستفاد من دراسة النصوص، أن النفس البشرية - على غرار ما نراه في هذا العالم من مراتب وجودية، كالممالك المعدنية والنباتية والحيوانية والبشرية (حيث تنقسم كل مملكة بدورها إلى درجات) - ستواصل الروح تطورها في العوالم الروحية لله عبر مستويات مختلفة، وذلك بناءً على ما تحمله معها من صفات حميدة. وفي هذا السياق، لن يكون بوسع من هم في مستوى أدنى إدراك حال من هم في مستوى أرقى. وهكذا نرى مثالاً على أن المبدأ ذاته الذي يسري في العالم المادي - ألا وهو تنوع خلق الله - ينطبق أيضاً على العوالم الروحية.

أين يقع العالم الآخر؟

ومثال آخر على ذلك المبدأ القائل بأن أشكال الحياة الأرقى تدور حول الأشكال الأدنى وتعتمد عليها. ففي هذا العالم المادي، نرى أن جميع الكائنات الحيّة تستمد مقومات بقائها من العالم المعدني، الذي يمثل أدنى الممالك. ويؤكد حضرة بهاء الله في أحد ألواحه أن جميع العوالم الروحية تدور حول هذا العالم؛ مما يشير إلى أن العالم الآخر ليس منفصلاً عن الحياة في هذا العالم، بل هو محيطٌ به. ونحن نرى في الطبيعة كيف ينمو الجنين في رحم أمه، دون أن يدرك أن العالم الذي سيولد فيه قريبٌ منه للغاية؛ إذ لا يفصل بين العالمين سوى حاجزٍ رقيق. وينطبق هذا المبدأ أيضاً على العوالم الروحية؛ فبعد انفصال الروح عن الجسد، ستكتشف الروح مدى قرب العالم الروحي منها. أما ما دامت الروح في هذا المقام الفاني، فإن العالم الآخر وعظمته يظلان محجوبين عن بصرها.

ويذكر حضرة بهاء الله في أحد ألواحه أنه لو كُشف للمؤمن الحقيقي - ولو بمقدار ثقب إبرة - عن المقام المُعدّ له في العالم الآخر، لزهقت روحه من فرط الوجد والنشوة! وكما يعجز الجنين في رحم أمه عن إدراك رحابة هذا العالم وجماله، كذلك تعجز الروح - وهي في هذه الدنيا - عن تبين الآفاق السامية للعالم الروحي.

الغرض الأساس من الخلق

فما هو إذن الغرض من الخلق في ضوء وحي حضرة بهاء الله؟ يعلن حضرة بهاء الله قائلاً: «إنَّ غرضَ اللهِ من خلقِ الإنسانِ كان وسيظلُّ أبداً، تمكينَه من معرفةِ خالقِه وبلوغِ مقامِ القربِ منه».[59] ويمكن تحقيق ذلك من خلال معرفة «مظهرِ الله» (أي النبي أو الرسول الذي يمثل الله في عصره). فبالتوجه إليه وتلقّي فيوضات مجده، تلد النفسُ «روحَ الإيمان». يشبه هذا إلى حد كبير ولادة طفل؛ فكما لا يمكن للطفل أن يرى النور دون أب، كذلك لا يمكن للنفس أن تكتسب روح الإيمان دون عونٍ من "مظهر الله". لذا، تحتاج النفس إلى التعرف عليه وإقامة رابطة روحية معه.

ومن خلال التوجه إلى حضرة بهاء الله بتفانٍ، وتعلم محبته، والانقياد لتأثير وحيه، وإقامة صلة روحية معه، تصبح النفس مهيأةً لتلد روح الإيمان. وهذا هو المصير الأسمى والأكثر مجداً للنفس، وهو الغرض الذي خُلقت من أجله.

وعليه، فعندما يدرك الفرد أن حضرة بهاء الله هو مظهر الله في هذا العصر، تتشبع روح المؤمن بنفحات الإيمان. يشبه هذا الأمر شرارةً تتقد في القلب؛ إذ تبدأ كوميضٍ خافتٍ من

الضوء، لكن ينبغي السماح لها بأن تتحول إلى نارٍ تزداد اشتعالاً وقوةً باستمرار. وحينئذٍ، يمتلئ قلب المؤمن حباً لحضرة بهاء الله. وهنا يطرح السؤال: كيف يمكن لمن اعتنق هذا الدين حديثاً أن يتقرب أكثر إلى حضرة بهاء الله، وأن يذكّي جذوة إيمانه، ويزيد من شدة حبه له يوماً بعد يوم؟

ورد في القرآن الكريم - وهو ما يؤكده حضرة بهاء الله ويشدد عليه - أن «العلم نورٌ يقذفه الله في قلب من يشاء».[60] قد تبدو عبارة «القلب هو مطلع معرفة الله» غريبةً لدى البعض؛ إذ من المعروف أن العقل هو الأداة التي تُكتسب بها المعرفة، لا القلب. غير أن الإيمان ومعرفة الله - كالبذور تماماً - تُغرس أولاً في القلب، ثم يأتي دور العقل ليدرك هذه الحقيقة ويبدأ في استيعابها. وفي نهاية المطاف، فإن التفاعل بينهما - أي بين القلب والعقل - هو ما يمنح النفس اليقين والرسوخ.

النهج الفكري ليس كافياً

على الرغم من أن الإيمان بحضرة "بهاء الله"، قد يبدأ لدى المؤمن من خلال نهج عقلي، إلا أن تعميق هذا الإيمان ونموه يوماً بعد يوم لا يمكن أن يستمر عبر المساعي العقلية وحدها. وإذا لم يَنمُ إيمان المرء مع مرور الوقت، فإنه يشبه طفلاً وُلد، لكنه لم يَنمُ. وفي مثل هذه الحالة، من المرجح جداً أن يشعر المؤمن بنوع من الشك تجاه هذا الإيمان، وقد يواجه صراعاً ذهنياً حاداً عند تعرضه للاختبارات. ومع أن الفرد قد يتقبل عقلياً حضرة "بهاء الله" كمظهر من مظاهر الله، بل وربما يكون مطلعاً بعمق على كتاباته، إلا أنه لن يتمكن من بلوغ ذلك اليقين المطلق الذي يضفي على الإنسان سماتٍ روحية، ويمنح نفسه رضا وطمأنينة وسعادة دائمة.

القلب هو مركز الدفء والمحبة. ومن طبيعة القلب أن يتعلق بالحب تجاه طرفٍ ما، والفرد هو من يجد هذا الطرف ويختاره. فعلى سبيل المثال، إذا وجه المرء مشاعره نحو العالم المادي، فسيصبح قلبه متعلقاً بالأشياء المادية بسهولة بالغة. أما إذا توجه الفرد نحو الله والأمور الروحية، فإن قلبه يمكن أن يقع في حب الله، شريطة أن يستوفي شرطاً واحداً ذَكره "حضرة بهاء الله" في الكلمات المكنونة: "يا ابن الوجود! فُؤادكَ منـزلي قَدِّسهُ لنزولي،".[61] فكيف نطهّر القلب؟ يوضح حضرة "بهاء الله" ذلك في موضع آخر قائلاً:

"يا ابن التراب! لك قدّرت جميع ما في السموات والارض ! إلا القلوب فقد جعلتها منزلا لتجلي جمالي وإجلالي، وأنت قد تركت منزلي لغيري، فما أراد ظهور قدسي في كل زمان أن يقصد مكانه، إلا وجد فيه غيرهُ ورأى فيه غريباً ، فأسرع الى حرم المحبوب في اللامكان، ومع ذلك سترتُ أمرك ولم أفضح سرّك ولم أرتض أن أخجلك".[62]

ثم... " تأمل قليلا: أسمعت قطٌ أن الحبيب والغريب يجتمعان في قلب واحد؟ إذاً فاطرد الغـريب حتى يدخـل الحبيب منزله".

لذا، ومن أجل اكتساب الإيمان والسماح لتجلّي الله أن يسطع في أعماق القلب، يتحتّم علينا طرد ذلك "الغريب."

فمن هو هذا "الغريب"؟

يمكن اعتبار "الغريب"، بمثابة تعلّقنا بهذا العالم؛ وأشدّ أنواع "التعلّق" خطورةً وضررًا، هو التعلّق بالذات. يتجلّى هذا التعلّق بالذات غالباً في صورة الاعتزاز بالمعرفة الشخصية، أو الإنجازات الأخرى كالمكانة والمنصب. إنّ حبّ الذات هو ما يجعل المرء متمسّكاً برأيه، متمحور حول ذاته، متّسماً بالكبرياء والأنانية؛ بل إنّه يجرّد الإنسان من الصفات الروحية. فمثل هذا الشخص يكون قد أسكن في قلبه عدوّاً لدوداً، ألا وهو "الغريب". وحتى بعد اعتناقه للدين، سيجد هذا الفرد صعوبةً في استمداد الارتقاء الروحي من كتابات حضرة بهاء الله؛ لأنّ التعلّق بالذات قد صار حجاباً يحول بينه وبين الله.

إن قراءة الكتابات المقدسة بعين العقل، مع الاعتزاز بالذات والتباهي بما يتمتع به المرء من صفات وإنجازات عظيمة، سيؤدي بلا شك إلى إغلاق الباب أمام فيوضات حضرة بهاء الله وتأييداته، ولن تجد كلماته طريقاً للتأثير على القلب. أما حين يدرك المرء أن حضرة بهاء الله هو "مظهر الله"، فإنه يتواضع أمامه؛ وهذا التواضع يعد أحد الشروط الأساسية لإخراج "الغريب" من القلب شيئاً فشيئاً. يقول حضرة بهاء الله في توجيهٍ صريح لنا:

"تَواضَعْ أمامي، لكي أفتقدك بنعمتي".

"أغمض عينيك كي تشهد جمالي، وصمّ أذنيك كي تصغي عذوبة نغمات صوتي، وتجرّد من كلّ ما تعلّمتَه كي تنال من معرفتي، وطهّر نفسك من الثروات كي تحظى بنصيبٍ دائمٍ من بحر ثرائي الأزليّ".[65]

ثمة قصة فارسية جميلة، صيغت في قالبٍ شعري، تتحدث عن قطرة مطرٍ تسقط من الغيوم. تدرك هذه القطرة أنها "ماء الحياة" - ذلك العنصر الأثمن الذي خلقه الله - فتأخذها العزة بنفسها. وبينما هي تهبط متباهيةً بذاتها، تبصر فجأةً محيطاً واسعاً تحتها؛ فتدرك حينها ضآلة شأنها وتتساءل: "إذا كان هذا المحيط موجوداً، إذا فمن أنا؟". وحين يسمع المحيطُ كلماتِ التواضعِ هذه، يجذب القطرةَ إليه ويجعلها رفيقةً لؤلؤة.

فيما يلي جزءٌ من صلاةٍ مفروضةٍ لحضرة بهاء الله؛ وهي، على الرغم من إيجازها الشديد، تستحضر إلى الأذهان قصة القطرة والمحيط، وتُعدُّ إقراراً بليغاً بحقيقتنا:

أشهد يا إلهي بأنك خلقتني لعرفانك وعبادتك. وأقرّ في هذا الحين بعجزي وقدرتك، وفقري وغناك.[66]

حين ينجح الفرد - بفضل مساعيه الخاصة وعون الدعاء - في إلقاء نظرة على جلال وعظمة بهاء الله، فإن روحه - على غرار قطرةٍ رأت المحيط - ستتقدم خطوةً تلو الأخرى، حتى تغدو تجسيداً لنكران الذات والعدم المحض؛ وهو أسمى مقامٍ يمكن أن يبلغه الإنسان، والسمة الجوهرية للعملاق الروحي.

عندها. وعندها فقط، يستطيع المرء أن يطرد "الغريب" من ذاته.

الغذاء الروحي

كما ذكرنا سابقاً، حين يمسّ حبُّ حضرة بهاء الله قلبَ الإنسان ويقول "أنا أؤمن"، فإن روح الإيمان تولد من جديد في نفسه. وهذا هو "الميلاد الثاني" الذي أشارت إليه الأناجيل. وكما يحتاج المولود الجديد إلى الغذاء كي ينمو، كذلك نحتاج نحن إلى غذاءٍ روحيٍّ، لنُغذّي به أرواحنا. وهذا الغذاء الروحي هو كلمة الله التي أنزلها حضرة بهاء الله لهذا العصر. فمن خلال قراءة كلماته، تنمو روح الإيمان شيئاً فشيئاً، ويصبح المؤمن راسخاً في إيمانه، مطمئناً وسعيداً في حياته. أما إذا أهمل المرء هذا المطلب الحيوي، فإن إيمانه سيضعف، وقد يفقده تماماً.

الخطوة الأولى نحو النمو الروحي، هي قراءة النصوص المقدسة

على غرار الأم التي تقدم الطعام لطفلها عدة مرات في اليوم، حثّ حضرة بهاء الله أتباعه على تلاوة كلماته مرتين يومياً، في الصباح والمساء، وأوضح أن من لا يتلونها، لا يعدّون مخلصين لعهد الله.

والآن، دعونا نتأمل في دلالة أمر حضرة بهاء الله بتلاوة كلماته مرتين في اليوم.

نحن نعلم أن الله، في جميع عوالمه وممالكه، يتواصل مع خلقه من خلال وسيلة ما. فعلى سبيل المثال، تُعدّ الشمس - التي تبسط أشعتها على كافة المخلوقات المادية - إحدى الوسائل التي يتواصل بها الله مع جميع الكائنات على هذه الأرض، حيث تطلق من خلالها طاقاتٍ محيية ضروريةً للنمو والتطور.

إن الوسيلة التي يتواصل بها خالقنا مع أرواحنا، هي الكلمات التي أنزلها "مظهر الله" - الذي هو في هذا العصر حضرة بهاء الله -. إن مجرد التفكير في أن خالقنا، رغبةً منه في التواصل مع أرواحنا، قد اختار أن "يخاطبنا" عبر كلمات حضرة بهاء الله، وأن هذه الكلمات - تماماً كأشعة الشمس - تضيء كياناتنا؛ لهو أمرٌ كفيلٌ بأن يبعث في قلوبنا، نحن المؤمنين، حماساً يدفعنا لتناول كتاب الله بأيدينا بمشاعر الفرح والتبجيل. فنحن ندرك، ونحن نقرأ هذه الكلمات، أن خالقنا "يخاطبنا"، ويسكب نوره في أعماق قلوبنا، ويغمرنا بفيض عطاياه. ويمكننا نيل كل هذه النعم الثمينة شريطة أن ننجح في إبعاد "الغريب" عن أنفسنا، وأن نتجه بقلبٍ طاهرٍ نحو الله. وهكذا، نستطيع فتح كتاب الله على يقينٍ تامٍ بأننا، بفضل القوة الكامنة في الكلمات المنزلة فيه، سنتمكن من الارتقاء روحياً.

من المفيد في هذا المقام، الإشارة إلى الفرق بين الدعاء وتلاوة النصوص المقدسة؛ فهما أمران قد يكون أحدهما نقيض الآخر. ففي الدعاء، غالباً ما نطلب من الله شيئاً، بينما في تلاوة الألواح والنصوص المقدسة، يطلب الله منا نحن، أن نمتثل لأوامره وننفذ وصاياه.

يبيّن حضرة بهاء الله في "الكتاب الأقدس" أنه لا فضل في قراءة كلماته حين يكون المرء متعباً؛ فقراءة بضع سطور بروحٍ مفعمة بالبهجة والنفحات الروحية خيرٌ من قراءة كتابٍ كاملٍ في حالة من الضيق والإرهاق. وتنسجم هذه الوصية تماماً مع قانون الطبيعة الذي يقتضي ألا يتناول الإنسان الطعام إلا حينما يشعر بالجوع. ومن أوجه التشابه الأخرى، أنه يتعين على المرء في الطبيعة، تناول الطعام بانتظام كل يوم. إذ لا يكفي أن يأكل المرء مرة واحدة في

حياته. والأمر ذاته ينطبق على قراءة كلمات الله التي تُعدّ غذاءً للروح؛ فلا يكفي قراءة النصوص المقدسة بين الحين والآخر. لذا، فقد نصّ حضرة بهاء الله على أنه لكي تنمو الروح وتتطور روحياً، ينبغي على الفرد قراءة كلماته - الواردة في ألواحه - مرتين يومياً.

السماح لقوة الكلمات بالنفاذ إلى قلوبنا

ينبغي لنا أن نفسح المجال لهذه الكلمات، بما تحمله من قوىً باعثة للحياة، كي تتغلغل في أعماق قلوبنا وتُعزز إيماننا. ويتحقق هذا النفاذ، حين ندرك بوعيٍ، أن هذه الكلمات مشحونة بطاقةٍ هائلة. فإذا قرأناها صباحاً بهذا الوعي، أمكننا - خلال النهار، سواء في عملنا أو في أي مكانٍ نكون فيه - أن نتواصل مع حضرة بهاء الله ونتأمل في كلماته؛ بحيث تتشرب هذه الكلمات في قلوبنا وأرواحنا تماماً كما يُمتص الطعام في أجسادنا. وحينئذٍ، سنشعر بتوقٍ (جوعٍ روحي)، لقراءة المزيد من هذه الكلمات في المساء. أما إذا لم نشعر بذلك، فهو دليلٌ على أننا لم نسمح لهذه الكلمات بالنفاذ إلى قلوبنا.

الخطوة الثانية

إلى جانب قراءة النصوص - وموازيةً لها في الأثر الذي يمكن أن تتركه في النفس - تأتي وصية حضرة بهاء الله بأداء الصلاة المفروضة يومياً. وتختلف هذه الصلاة المفروضة عن غيرها من الصلوات بكونها إحدى الفرائض الأساسية التي أقرّها حضرة بهاء الله، كما تقترن بها طقوسٌ محددة، منها التوجه نحو "القبلة" عند أدائها في خلوة المرء. وهناك ثلاث صلوات مفروضة، وللفرد حرية اختيار أيٍّ واحدة منها.

وقد أولى حضرة بهاء الله أهميةً قصوى لهذه الوصية تحديداً. ففي أحد ألواحه، يصف حضرة عبد البهاء الصلاة المفروضة، بأنها "أساس أمر الله" ومصدر الحياة الروحية للفرد. وفي لوحٍ آخر، يبيّن حضرة عبد البهاء أن الالتزام بفريضة الصلاة واجبٌ على الجميع، ولا يُقبل فيه أي عذر، إلا في حالات فقدان العقل أو مواجهة ظروفٍ استثنائية قاهرة. فمن المستحيل للمرء أن يتقرب إلى حضرة بهاء الله دون الالتزام اليومي بهذه الوصية المهمة.

إلى جانب الصلوات المفروضة التي أُلزم بها جميع المؤمنين، هناك صلوات عديدة نزلت عن طريق حضرة الباب وحضرة بهاء الله وحضرة عبد البهاء؛ وهي تختلف في طبيعتها، إذ لا تُعدّ تلاوتها طقساً دينياً. فتلاوتها أمرٌ اختياري، ويمكن للفرد القيام بها كلما شعر بالرغبة في ذلك، سواءً كان بمفرده أو في حضور الآخرين.

قوة الصلاة

الصلاة - تعني التحرر من الذات - وتُعد ضرورةً حيويةً للنمو الروحي؛ فهي تمثل صلتنا الطبيعية بالله. إن الصلاة الخالية من الرغبات الشخصية، يمكن أن تمارس تأثيراً قوياً وعميقاً على النفس؛ فمن خلالها تُفتح قنوات فيض النعمة الإلهية، وتغمر العطايا الإلهيةُ النفسَ، فتمنحها الانتعاش والحيوية. وكما تمد الشجرةُ الحيةُ أغصانَها وأوراقَها نحو الشمس لتستمد منها أشعتها المانحة للحياة، كذلك تتوق النفس - حين تستنير بنور الإيمان - إلى الله، عبر الصلاة، وتجد لذّتها في الثناء عليه ومناجاته. أما إذا خلت الصلاة من ذلك، فقد تتحول إلى

مجرد كلماتٍ على اللسان، تفتقر إلى البهجة والإخلاص، وحينها يعجز القلب عن تلقي فيض النعم الإلهية. فالشجرة التي لا تتأثر بأشعة الشمس المانحة للحياة، تُعد ميتة، رغم أن الشمس تواصل إرسال طاقتها دون انقطاع. وبالمثل، تنتشر الطاقات المُحيية لمحبة الله اللامتناهية في أرجاء الخليقة بأسرها؛ ومع ذلك، لا يمكننا أن نصبح متلقّين لهذه الطاقات إلا عندما نُوجّه قلوبنا نحو الله في حالة من العبادة.

إن القوة التي يمكن أن تتولد في قلب المؤمن - حينما يتحرر من كل رغبةٍ شخصيةٍ ويتجه نحو الله بالثناء والتمجيد - تفوق قدرتنا على الإدراك. ويكفي القول إن العديد من أبطال إيماننا استمدوا شجاعتهم وثباتهم من هذا المصدر؛ فقد وظفوا قوة الصلاة في مساعيهم التعليمية، وأصبحوا بفضل ذلك، أدواتٍ جديرةً، جذبت الآلاف إلى ظل الإيمان بدين حضرة بهاء الله.

الخطوة الثالثة

إن قراءة كلمات حضرة بهاء الله، على الرغم من أهميتها البالغة، قد لا تؤدي بالضرورة إلى التقدم الروحي ما لم تقترن بالخدمة في سبيل الأمر المبارك. فلو تناول المرء الطعام بانتظام ووفرة، لكنه تقاعس عن الحركة واستخدام عضلاته يومياً، فسيؤول به الحال سريعاً إلى العجز والمرض. وبالمثل، لا بد أن تترافق قراءة الكتابات المقدسة مع العمل. وتتمثل أعظم الخدمات التي يمكن تقديمها للأمر المبارك في هذا العصر: في تبليغ الدين كواجب يومي، وتأسيس المجتمعات البهائية، وإنشاء المحافل الروحية المحلية وتوطيد أركانها في كل مكان.

وقد حظي التبليغ - أي إيصال رسالة الله إلى النفس البشرية - بمكانةٍ ساميةٍ في هذا الدور البهائي؛ إذ لم يكتفِ حضرة بهاء الله بجعل التبليغ واجباً على كل مؤمن، بل اعتبره "أفضل الأعمال وأكثرها استحقاقاً للثواب". كما أكد حضرة عبد البهاء قائلاً: "إن أعظم عطايا الله هي عطية التبليغ؛ فهي تجلب لنا فيض عناية الله، وتُعدّ واجبنا الأول."[69]

الخطوة الرابعة

يعتمد النمو الروحي للمؤمن أيضاً على الأعمال الطاهرة والحسنة، وعلى الامتثال لقوانين حضرة بهاء الله وتعاليمه. فأن يعيش المرء حياته وفقاً لتعاليم الله، هو غاية كل بهائي، وهو في الوقت ذاته شرطٌ أساسيٌّ لنجاح عملية التبليغ وفعاليتها.

يقول حضرة بهاء الله في أحد ألواحه:

"قد فرض الله على كل فرد واجبَ تبليغ أمرِه. ومَن ينهض لأداء هذا الواجب، ينبغي له - قبل أن يعلن رسالتَه - أن يتحلى بزينة الخُلق القويم والسيرة الحميدة، حتى تجذب كلماتُه قلوبَ المستعدين لتقبّل دعوته؛ فبدون ذلك، لا يمكنه أبداً أن يأمل في التأثير على سامعيه".[70]

لا تترك هذه العبارة مجالاً للشك؛ إذ يؤكد حضرة بهاء الله قائلاً: «فبدون ذلك، لا يمكنه أبدًا أن يأمل في التأثير على سامعيه». فكلمة «أبدًا» تفيد التأكيد القاطع، وتستبعد أي وسيلة أخرى. وقد وردت في ألواح عديدة أخرى لحضرة بهاء الله نصوصٌ تحمل ذات المعنى.

حماية أيمان الفرد

نلاحظ في الطبيعة أنه عند ولادة طفل، تبدأ مهمة حيوية؛ إذ تتطلب تربيته وحمايته، رعايةً محبةً ويقظةً من جانب والديه. والأمر ذاته ينطبق على روح الإيمان؛ فبمجرد أن يعلن المرء قائلًا: "أنا بهائي"، يتحتم عليه حماية هذه الهبة - هبة الإيمان - التي تُعد أثمن ما يملك، والعمل على تنميتها باطراد.

إن قراءة النصوص المقدسة، واتباع الخطوات المذكورة في هذه الصفحات، سيضعاننا على الطريق القويم للارتقاء الروحي، ويقربانا أكثر من حضرة بهاء الله.

اللصوص الثلاثة الكبار للإيمان والروحانية

بينما نسير في طريق الارتقاء الروحي هذا، ينبغي لنا أن نكون على حذرٍ، لئلا يُسلب منا إيماننا على يد قوى النفي والابتعاد عن الله.

1 - أول هؤلاء السارقين هو التعلق بالدنيا. فمفهوم "التجرد" (أو عدم التعلق) في العقيدة البهائية لا يعني نبذ العالم وشؤونه؛ بل إن كل ما يشكل حاجزاً بين المؤمن وحضرة بهاء الله يُعدّ تعلقاً بالدنيا. ويُعتبر حب الذات الحاجز الأشدّ والأقوى؛ فأكبر عدو للإنسان هو أهواء نفسه وأناه.

2 - ثاني ما يسلب الإنسان إيمانه هو رفاق السوء. فمصاحبة من يفتقرون إلى تقوى الله، قد تعرّض إيمان المرء للخطر أو تؤدي إلى تدميره. وهذا هو تحذير حضرة بهاء الله الصارم في هذا الشأن:

"يا ابن التراب! احذر، ولا تمشِ مع من لا يتقون الله، ولا تطلب صحبتهم؛ فمثل هذه الصحبة تحوّل ضياء القلب إلى نارٍ لظى".[1]

لا ينبغي إساءة فهم مصطلح "من لا يتقون الله" أو "غير المتقين"؛ فقد يدّعي المرء الإيمان بالله، ومع ذلك يندرج تحت هذا الوصف، بينما - في واقع الأمر - قد يكون كثير ممن يصفون أنفسهم باللا أدريين أو الملحدين ليسوا من "غير المتقين" بالمعنى المقصود.

وفي المقابل، نحظى بالارتقاء الروحي حين نتواصل مع شخصٍ متقدٍ بمحبة حضرة بهاء الله؛ إن مجرد مصاحبة فردٍ كهذا، تزيد من إيمان المرء بالله. يقول حضرة بهاء الله في "الكلمات المكنونة:"

"مــن أراد أن يأنس مــع الله، فليأنس مع أحبائه، ومن أراد أن يسمع كلمات الله، فليسمع كلمات أصفيائه".[72]

3 - العدو الثالث، هو الغيبة والنميمة. فالبحث عن عيوب الآخرين، والحديث عنها، من شأنه أن يقوّض أساس إيماننا بحضرة بهاء الله. وهو يوجهنا في هذا الصدد قائلاً:

"يا أيها المهاجرون! اللسان الذي جعلتُه لِذِكري، لا تُدنِّسوه بالغيبة. وإذا غلبتكم نارُ النفس، فاذكروا عيوبَ أنفسكم لا عيوبَ خلقي؛ إذ كلٌّ واحدٍ منكم أعرفُ بنفسه من معرفته بالآخرين".[73]

قائمة المراجع

حضرة عبد البهاء. "نشر السلام العالمي (The Promulgation of Universal Peace)". ويلميت، إلينوي: دار النشر البهائية، 1982.

"مختارات من كتابات حضرة عبد البهاء". حيفا: المركز البهائي العالمي، 1978.

"الوصية المباركة لحضرة عبد البهاء (The Will and Testament of ‘Abdu’l-Bahá)". ويلميت، إلينوي: دار النشر البهائية، 1971.

الباب. "مختارات من كتابات حضرة الباب". حيفا: المركز البهائي العالمي، 1976.

"المجلة البهائية - (Bahá’í Journal) "صادرة عن المحفل الروحاني المركزي للجزر البريطانية، أغسطس 1963.

"أدعية بهائية: مختارات من الأدعية التي نزلت من قلم حضرة بهاء الله وحضرة الباب وحضرة عبد البهاء". ويلميت، إلينوي: دار النشر البهائية، 2002.

حضرة بهاء الله. "نفحات من كتابات حضرة بهاء الله (Gleanings from the Writings of Bahá’u’lláh)". ويلميت، إلينوي: دار النشر البهائية، 1983.

"الكلمات المكنونة". ويلميت، إلينوي: دار النشر البهائية، 1990.

الكتاب الأقدس. حيفا: المركز العالمي للبهائيين، 1992.

كتاب الإيقان. ويلميت، إلينوي: دار النشر البهائية (Bahá’í Publishing Trust)، 1989.

ألواح حضرة بهاء الله التي نزلت بعد كتاب الأقدس. حيفا: المركز العالمي للبهائيين، 1978.

كتاب بريتانيكا السنوي لعام 2002. (Britannica Book of the Year 2002) شيكاغو: موسوعة بريتانيكا، 2002.

أهمية الصلاة المفروضة والصوم. أوكهام: دار النشر البهائية (Bahá'í Publishing)، 2000.

أنوار الهداية :(Lights of Guidance) ملف مرجعي بهائي. إعداد: هيلين هورنبي. نيودلهي: دار النشر البهائية (Bahá'í Publishing Trust)، الطبعة الخامسة، 1997.

نبيل الأعظم. مطالع الأنوار:(The Dawn-Breakers) رواية نبيل عن الأيام الأولى للظهور البهائي. ويلميت، إلينوي: دار النشر البهائية (Bahá'í Publishing Trust)، 1970.

مبادئ الإدارة البهائية. لندن: دار النشر البهائية (Bahá'í Publishing Trust)، 1976.

شوقي أفندي. الإدارة البهائية .(Bahá'í Administration) ويلميت، إلينوي: دار النشر البهائية (Bahá'í Publishing Trust)، 1968.

فجر يوم جديد :(Dawn of a New Day) رسائل إلى الهند 1923-1957. نيودلهي: دار النشر البهائية (Bahá'í Publishing Trust)، 1970.

الله يمرُّ من هنا. (God Passes By) ويلميت، إلينوي: دار النشر البهائية (Bahá'í Publishing Trust)، طبعة منقحة، 1995.

رسائل إلى أمريكا (Messages to America). ويلميت، إلينوي: لجنة النشر البهائية (Bahá'í Publishing Committee)، 1947.

رسائل إلى العالم البهائي. ويلميت، إلينوي: دار النشر البهائية (Bahá'í Publishing Trust)، 1971.

النظام العالمي لحضرة بهاء الله. ويلميت، إلينوي: دار النشر البهائية، 1991.

بيت العدل الأعظم. رسالة بيت العدل الأعظم بشأن الإعلان عن "الخطة ذات العام الواحد"، 26 نوفمبر/تشرين الثاني 1999.

رسالة بيت العدل الأعظم، عيد الرضوان 2000.

رسالة بيت العدل الأعظم إلى القادة الدينيين في العالم، أبريل/نيسان 2002.

رسالة بيت العدل الأعظم، نوفمبر/تشرين الثاني 2007.

رسائل من بيت العدل الأعظم 1963-1986: الحقبة الثالثة من العصر التكويني. ويلميت، إلينوي: دار النشر البهائية، 1996.

أفق أوسع: مختارات من رسائل بيت العدل الأعظم 1983-1992. ريفييرا بيتش، فلوريدا: منشورات "بالابرا (Palabra Publications)"، 1992.

ملاحظات ومراجع

1. حضرة الباب، مختارات، ص. 12. 2. حضرة بهاء الله، كليننكز، ص 11. 3. حضرة بهاء الله، كما ورد في مؤلَّف شوقي أفندي «النظام العالمي»، ص 106-107. 4. حضرة بهاء الله، كليننكز، ص 92-3. 5. حضرة بهاء الله، مقتبس في حضرة شوقي أفندي، النظام العالمي، ص 134- 6. ألواح حضرة بهاء الله، ص 134. 227. 7. حضرة عبد البهاء، الوصايا ، ص 3. 8. الملا حسين، نقلا عن نبيل، طلائع الفجر، ص 21 341. 9. حضرة بهاء الله، كليننكز، ص 11. 10. حضرة عبد البهاء، الوصايا، ص 3. 11. حضرة شوقي أفندي، "الله يمر من هنا"، ص ٢٤ 324. 12. حضرة عبد البهاء، مختارات، ص 88. 13. حضرة عبد البهاء، الصلوات البهائية، ص٢٤ 333. 14. حضرة عبد البهاء، مختارات، ص 87. 15. المرجع نفسه. ص 87-8. 16. المرجع نفسه. 17. حضرة بهاء الله، الكتاب الأقدس، الفقرة 7 30. 18. حضرة شوقي أفندي، الإدارة البهائية، ص 24 65. 19. حضرة عبد البهاء، مختارات، ص 89. 20. حضرة عبد البهاء، النشر، ص 72-3 21. حضرة شوقي أفندي، الإدارة البهائية، ص ١٤٤ 88. 22. حضرة شوقي أفندي، في «مبادئ الإدارة البهائية»، ص 76 23. المصدر نفسه، ص 44-45. 24. حضرة بهاء الله، «نفحات من كتابات حضرة بهاء الله»، ص 276. 25. شخص يتخلى عن العالم في سعيه نحو الله، ويعيش على ما يجود به الآخرون عليه. 26. حضرة عبد البهاء، «مختارات من كتابات حضرة عبد البهاء»، ص 87. 27. من رسالة كُتبت نيابةً عن حضرة شوقي أفندي إلى أحد الأفراد، بتاريخ 18 مارس/آذار 1950، وردت في «المجلة البهائية» (Bahá’í Journal)، عدد أغسطس/آب 1963. 28. حضرة عبد البهاء، «مختارات من كتابات حضرة عبد البهاء»، ص 88. 29. المصدر نفسه، ص 87. 30. حضرة بهاء الله، الكتابُ الأقدس، فقرة 30. 31. حضرة شوقي أفندي، في كتاب «أنوار الهداية» (Lights of Guidance)، ص 487. 32. حضرة شوقي أفندي، «الله يمر من هنا» (God Passes By)، ص 214. 33. حضرة شوقي أفندي، «فجر يوم جديد» (Dawn of a New Day)، ص 176. 34. حضرة شوقي أفندي، «رسائل إلى العالم البهائي» (Messages to the Bahá’í World)، ص 60. 35. المصدر نفسه، ص 127. 36. المصدر نفسه، ص 169. 37. المصدر نفسه، ص 63. 38. حضرة بهاء الله، «نفحات من كتاب الله» (Gleanings)، ص 170. 39. حضرة عبد البهاء، «الوصية المباركة» (Will and Testament)، ص 14. 40. حضرة شوقي أفندي، في كتاب «مبادئ الإدارة البهائية» (Principles of Bahá’í Administration)، ص 77. 41. حضرة شوقي أفندي، «النظام العالمي» (World Order)، ص 7. 42. المصدر نفسه، ص 89. 43. حضرة عبد البهاء، «الوصية المباركة»، ص 19-20. 44. المصدر نفسه، ص 20. 45. بيت العدل الأعظم، «رسائل 1963-1986»، ص 246. 46. حضرة شوقي أفندي، «رسائل إلى العالم البهائي»، ص 155. 47. هذه الأرقام، أصبحت قديمة للغاية في وقت طباعة الكتاب عام 2008، فقد شهد الدين البهائي توسعاً هائلاً في جميع أنحاء العالم منذ النشر الأول لهذا الكتاب. وقد أشارت

«دائرة معارف بريتانيكا» (Encyclopedia Britannica)، في إصدارها السنوي لعام 2002، إلى أن الدين البهائي يُعد ثاني أكثر الأديان انتشاراً في العالم بعد المسيحية. 48. بهاء الله، «نفحات من كتابات بهاء الله» (Gleanings)، ص 7. 49. بهاء الله، «لوح أحمد»، ضمن كتاب «أدعية بهائية»، ص 310. 50. بهاء الله، «نفحات من كتابات بهاء الله»، ص 118-119. 51. شوقي أفندي، «النظام العالمي» (World Order)، ص 156-157. 52. رسالة بيت العدل الأعظم بشأن الإعلان عن «الخطة ذات العام الواحد»، 26 نوفمبر 1999. 53. شوقي أفندي، «رسائل إلى أمريكا» (Messages to America)، ص 51. 54. رسالة بيت العدل الأعظم، فترة الرضوان عام 2000. 55. رسالة بيت العدل الأعظم إلى البهائيين في العالم، 31 أغسطس 1987، وردت في كتاب «آفاق أوسع» (Wider Horizon)، ص 53. 56. رسالة بيت العدل الأعظم، فترة الرضوان عام 1996. 57. رسالة بيت العدل الأعظم، نوفمبر 2007. 58. رسالة بيت العدل الأعظم إلى القادة الدينيين في العالم، أبريل 2002. 59 .حضرة بهاء الله، "نفحات من وحي حضرة بهاء الله (Gleanings)، ص 70. 60. حديث شريف، ورد في كتاب «الإيقان» لحضرة بهاء الله، ص 46. 61. حضرة بهاء الله، «الكلمات المكنونة»، القسم العربي، رقم 59. 62. المصدر نفسه، القسم الفارسي، رقم 27. 63. المصدر نفسه، القسم الفارسي، رقم 26. 64. المصدر نفسه، القسم العربي، رقم 42. 65. المصدر نفسه، القسم الفارسي، رقم 11. 66. حضرة بهاء الله، في "مجموعة أدعية بهائية (Bahá'í Prayers)"، ص 4. 67. حضرة عبد البهاء، في «أهمية الصلاة المفروضة والصوم»، رقم 35. 68. حضرة بهاء الله، «نفحات من وحي حضرة بهاء الله»، ص 278. 69. حضرة عبد البهاء، "الوصية المباركة (Will and Testament)،" ص 25. 70. حضرة بهاء الله، «نفحات من وحي حضرة بهاء الله»، ص 335. 71. حضرة بهاء الله، «الكلمات المكنونة»، القسم الفارسي، رقم 57. 72. المصدر نفسه، القسم الفارسي، رقم 56. 73. المصدر نفسه، القسم الفارسي، رقم 66.

ISBN: 978-1-870989-99-2 BAHÁ'Í BOOKS UK